الحسد

قصص الحاسدين والمحسودين - درر من أقوال السلف
الأدلة من الكتاب والسنة على أسبابه وعلاجه ومظاهره

فضيلة الشيخ
لأبي الحسن علي بن أحمد الرازحي
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار القمة
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

الحسد

قصص الحاسدين والمحسودين - درر من أقوال السلف

الأدلة من الكتاب والسنة على أسبابه وعلاجه ومظاهره

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: الحسد وقصص الحاسدين والمحسودين
إعداد الشيخ: أبي الحسن علي أحمد الرازحي
رقم الإيداع: ١٧٦٥٤/٢٠١٩م.
نوع الطباعة: ١ لون.
عدد الصفحات: ١١٢.
القياس: ١٧ X ٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ/ عادل المسلماني.

٢٠١٩

الإدارة
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٣٣١٩ - [illegible]

المبيعات
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٣٣١٩ - [illegible]

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى العولقي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنه قد دعاني إلى تصنيف هذا الكتاب دواعٍ وأسباب يعجب منها الصغير ويشيب لها الكبير.

فرأيت وَضْعَ هذا الكتاب تذكرة لنفسي أولاً [(١)].

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وثانيًا: يكون رادعًا وزاجراً لمن قد أصيب بهذا البلاء الذي هو السم الناقع فإنه كما قيل: ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه.

وإن في ما قد ذكرته من الآيات الشريفة والأحاديث الثابتة المنيفة والأقوال الراجحة السديدة والآثار المفيدة والأشعار الحكيمة الرشيدة، ما يعتبر به المعتبر ويتعظ به المتعظ فيقف عند عتبة باب الحسد فلا يلج.

وإن كان قد ابتلي بهذا المرض الخطير كان ذلك مذكراً له بالرجوع، وداعيًا له إلى الأوبة والتوبة من ذلك الخُلُق القبيح والمعصية الذميمة.

فأسأل الله أن ينفع بهذا البحث المتواضع عباده وأن يرد به من ابتلي بهذا المرض ويوفقه للتوبة.

---

(١) فلا يظن ظان أني كتبت هذا البحث من أجل فرد أو أفراد معينين ولكني كتبته من أجل أن أنتفع به بنفسي وعسى أن ينفع الله به من شاء من عباده المسلمين.

وأسأله بمنه وكرمه أن يتقبل مني وأن ينفعني به وسائر المؤمنين ويعصمنا من كل ذنب ويوفقنا للتوبة من كل خطيئة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأسأله سبحانه بكل اسم هو له علمه أحداً من خلقه ، أو استأثر به في علم الغيب عنده أن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فضيلة الشيخ

أبي الحسن علي بن أحمد الرازحي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

التعريف بالكتاب

هذه الرسالة المتواضعة من الرسائل التي يَسَّر الله لي جمعها خلال أيام الجمعة في عدة أسابيع حيث إني اعتذرت عن الخروج للخطابة وكرست الجهد في عدة جُمَع على كتابة هذا البحث الذي أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وقد جعلت هذا البحث في سبعة فصول:

الأول: في الآيات الواردة في الحسد، وأسبقت ذكرها بتعريف الحسد لغة واصطلاحًا.

الثاني: الأحاديث الواردة في الحسد.

الثالث: أقوال السلف في الحسد وأهله.

الرابع: بعض آثار الحسد.

الخامس: أسباب الحسد وعلاجه والوقاية منه.

السادس: بين الحاسدين والمحسودين.

السابع: أشعار في الحسد.

وأتركك الآن مع تفاصيل هذه الفصول، نفعني الله وإياك بما فيها.

الفصل الأول
الآيات الواردة في الحسد

الحسد:

لغة: الحسد مصدر قولهم: حسد يَحْسِد وَيَحْسُدُ ـ بكسر السين وضمها ـ وأصله القشر وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد فالحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه.

قال الفيومي: حسدته على النعمة وحسدته النعمة حَسَدًا بفتح السين أكثر من سكونها، يتعدى إلى الثاني بنفسه وبالحرف إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه وهو عند أهل التحقيق غير الغبطة؛ لأن الأُولى صفة المنافقين، والثانية صفة المؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿**حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ [البقرة:١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾**﴾ [الفلق:٥].

والغبطة هي: أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله مالاً ينفق منه في سبيل الله أو يتمنى أن يكون حافظًا لكتاب الله فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار ولا يتمنى أن يرزأ صاحب المال في ماله أو تالي القرآن في حفظه، هذا هو الحسد المباح وهو ما يسمى بالغبطة.

قال ابن منظور: الحسد؛ أن تتمنى زوال نعمة المحسود وحَسَده يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حسداً وحَسَّدَه إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما.

وتحاسد القوم، ورجل حَاسِد من قوم حُسَّدٍ[١] .

---

(١) «الصحاح» و«لسان العرب» و«مفردات القرآن» و«المصباح المنير»، و«مقاييس اللغة» مادة حسد.

الحسد، اصطلاحاً:

قال الراغب: الحسد: تمني زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها [١] .

قال الماوردي: وحقيقة الحسد: شدة الأسى على الخيرات التي تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة [٢] .اهـ.

قال ابن الجوزي: الحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة فإنها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط[٣] .اهـ.

قال الجاحظ: الحسد: هو التألم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خُلُقٌ مكروه وقبيح بكل أحد[٤] .اهـ.

قال ابن الجوزي: وحَدَّ بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً؛ لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل.

وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد؛ حزن لازم ونفس دائم وعقل هائم وحسرة لا تفنى [٥] .اهـ.

وقال ابن الجوزي أيضاً: والحسد أخس الطبائع وأول معصية عُصي الله بها: في السماء حسد إبليس لآدم، وفي الأرض حسد قابيل هابيل .اهـ . [٦] .

---

(١) «المفردات» مادة «حسد».

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص:٢٦١).

(٣) «زاد المسير» (١/١٠٤).

(٤) «تهذيب الأخلاق» (ص:٣٤).

(٥) «زاد المسير» (١/١٠٤).

(٦) «زاد المسير» (٨/٣٤٦).

الآيـــات الـــواردة في ذم الحسد

[١] الحسد من صفات اليهود:

(١) قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)** ﴾ [البقرة:١٠٩].

في هذه الآية الكريمة: «يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم».

فوصفهم بقوله: ﴿ **كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ يعني: «من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئًا ولكن الحسد حملهم على الجحود فَعَيَّرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة» (١).

قال الفخر الرازي في «تفسيره» (٣/٢٣٦):

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من كيد اليهود للمسلمين.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/١٠٩):

﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ معنى وَدَّ: أحب وتمنى، وأهل الكتاب: اليهود، قال الزجاج: ﴿ **مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ﴾ موصول لـ ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ** ﴾ لا بقوله: ﴿ **حَسَدًا** ﴾ لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم لا أنه عندهم الحق.

فأما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة: فإنها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط .اهـ.

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية [١٠٩].

ذكر حسد اليهود للمسلمين:

هذه الآية الآنف ذكرها دالة على ذلك.

(٢) الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ **وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)** ﴾ [آل عمران: ٦٩].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين، وبغيهم إيَّاهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم.اهـ.

قلت: وهكذا هو الحسد يعود على أهله بالوبال والمكر من الله لعدم رضائهم بما قدره الله.

فاحذر أخي المسلم أن تكون من أهله.

(٣) والآية الثالثة تؤيد ثبوت الحسد فيما بينهم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)** ﴾.

[آل عمران: ١٩].

قال ابن كثير: أي: بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضَهم بغضِ البعض على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقًّا.

(٤) والآية الرابعة تثبت حسدهم لأهل الإسلام والمسلمين:

قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤)** ﴾ [النساء: ٥٤].

قال ابن كثير: يعني ذلك: حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة

العظيمة ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل .اهـ.

(٥) والآية الخامسة:

قال تعالى : ﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)** ﴾ [البقرة:١٠٥] .

[٢] الحسد من صفات المنافقين:

تقدم لك أن الحسد سَجِيَّة من سجايا اليهود فيما بينهم وللمسلمين، وكذلك في المنافقين فإنهم من الحاسدين للمؤمنين في كل زمان ومكان .

(١) قال تعالى : ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩)** ﴾ [النساء:٨٨، ٨٩] .

(٢) قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)** ﴾ [آل عمران:١١٨] .

(٣) قال تعالى : ﴿ **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)** ﴾ .

[آل عمران:١٢٠] .

قال الرازي: وهذا الفرح شماتة ، والفرح والشماتة متلازمان .

(٤) قال تعالى : ﴿ **إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)** ﴾ [التوبة : ٥٠] .

[٣] أمر الله بالتعوذ من الحاسد إذا حسد:

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ .

[سورة الفلق] .

كـــلام أهـــل العلـــم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عمومًا وخصوصًا، ولهذا قيل فيها برب الفلق فإن فالق الإصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات .

وكذلك الحسد هو: من ضيق الإنسان وشحه لا ينشرح صدره لإنعام الله عليه فرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئًا إلا بخير[١] .اهـ.

وقال الشوكاني:

ذكر الله سبحانه في هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره، وهو الغاسق والنفاثات والحاسد، فكان هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقين بإفراد كل واحد منهم بالذكر[٢] .اهـ.

---

(١) « دقائق التفسير » (٦ / ٤٩٨) .

(٢) « فتح القدير » (٥ / ٥٢٩) .

حكمة تقييد الحاسد بقوله: ﴿ إِذَا حَسَدَ ﴾ :

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» :[1]

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿ إِذَا حَسَدَ ﴾؛ لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعاجل أخاه إلا بما يحبه الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله .

وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟.

قال: ما أنساك إخوة يوسف.

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر لها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياء منه وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفة لله ، وبغضًا لما يحبه الله ، ومحبة لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير له.

بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد، ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم هذا كله حسد تمني الزوال .اهـ.

واعلم أنه لما كان الحسد شرًّا، أمر الله نبيه بالاستعاذة منه، والحاسد أشر؛ لأنه حمل الشر ورضي به وانقاد له.

قال ابن القيم في « بدائع الفوائد » (١/٢/٢٢٨) :

الشر الرابع: شر الحاسد إذا حسد وقد دَلَّ القرآن والسُّنَّة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ فحقق الشر منه عند صدور الحسد والقرآن ليس فيه لفظة مهملة.

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/٢/٢٣٦) و«الضوء المنير» (٦/٥٢٩).

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ووجهت إليه سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك.

فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله وإلا ناله ولا بد؛ فقوله تعالى: ﴿**إِذَا حَسَدَ**﴾ بيان؛ لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل.اهـ.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»:

أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور فقال: ﴿**مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عظمه وكثرة ضرره،والحاسد عدو نعمة الله.

قال الحسن بن الفضل: ذكر الله تعالى الشر في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخس طبع[1] .اهـ

تفسير الطبري لهذه الآية: قال في «تفسيره» (٢٤/٧٠٥):

قوله: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ۝٥﴾ اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أُمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر حسده فقال بعضهم ذلك كل حاسد .

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن نور، عن معمر، عن قتادة: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ قال: من شر عينه ونفسه، وعن عطاء الخرساني مثل ذلك قال معمر: وسمعت ابن طاوس يحدث عن أبيه قال: العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استفل أحدكم فليغتسل»[2] .

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٦/٣٨٦).

(٢) في رواية معمر عن قتادة كلام. والأثر أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٤٠٨) وقول طاوس، صحيح.

وقال آخرون: بل أمر النبي ﷺ بهذه الآية أن يتسعيذ من شر اليهود الذين حسدوه.

ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾قال: يهود لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم[1] .

وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر كل حاسد إذا حسد فعابه أو سحره أو بقاه سواء، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله عز وجل لم يخصص من قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ حاسداً دون حاسد بل عم أمره إياه بالاستعاذة من شر كل حاسد فذلك على عمومه .اهـ.

[٤] أول ذنب عُصِي الله به في السماء الحسد:

عن جندب بن أبي أمية قال: إن أول خطيئة كانت الحسد: حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية [2] .

وعن الحسن البصري، قال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ : هو أول ذنب كان في السماء[3] .

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [البقرة:٣٤].

قال قتادة: « قوله: ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ حسد عدو الله إبلس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة ... » [4] .

---

(١) سنده صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد.

(٢) سنده صحيح أخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (رقم ٦٩)، وأعاده رقم(٨٣)، وانظر ما سيأتي في «الباب التالي».

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧١١)، وفي سنده الحسن بن دينار، قال ابن عدي: أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٩٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٤) وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٢٣) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ [الأعراف: ١١].

قال الطبري في «تفسيره» (١٨/٣٨٣): حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ قال: قال له: ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾ وقرأ حتى بلغ: ﴿ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك.

قال: وهذا عهد الله إليه في ذلك قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له (إبليس) وعصى الله الذي كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له»(1) .

وقد ذكر الله خبر إبليس وحسده لآدم في أكثر من سورة في القرآن الكريم من ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [البقرة: ٣٤-٣٨].

وذكر ذلك سبحانه في سورة الحجر [آية: ٢٨-٤٢]، وسورة ص [آية: ٧٢-٨٥].

---

(١) صحيح إلى ابن زيد.

[٥] أول ذنب عصي الله به في الأرض الحسد :

قال ابن عيينة: «الحسد أول ذنب عصي الله عز وجل به في السماء ـ يعني : حسد إبليس آدم ـ، وهو أول ذنبٍ عصي الله عز وجل به في الأرض وهو حسد ابن آدم آخاه فقتله» (١) .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)** ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات من «تفسيره»:

يقول تعالى مبينًا عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل (٢) كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيًا عليه وحسداً له فيما وهبه الله من النعمة ، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل.

قال قتادة: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ** ﴾ ذُكِر لنا أنهما هابيل وقابيل، فأما هابيل فكان صاحب ماشية فعمد إلى خير ماشيته فتقرب بها فنزلت عليه النار فأكلته وكان القربان إذا تُقُبِّل منهم نزلت عليه نار فأكلته، وإذا رُدَّ عليهم أكلته الطير والسباع.

وأما قابيل فكان صاحب زرع فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به ، فلم تنزل عليه النار فحسد أخاه ، عند ذلك فقال : ﴿ **لأَقْتُلَنَّكَ** ﴾ ، قال : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ**

---

(١) أخرجه الدينوري «المجالسة»(٦٥٩) عن ابن عيينة بهذا اللفظ .
والدينوري فيه كلام كما في « اللسان » وقد دافع عنهم بعضهم والظاهر أنه لايسلم من القدح فيه وانظر، « عيون الأخيار » (٢ / ١٤) وعنه تقدم في الباب السابق عن جندب بن أبي أمية .
(٢) لم تثبت هذه التسمية في الشرع ولعل الجمهور أخذوها مما روي من الإسرائيليات، والله أعلم.

مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [1] .

[٦] المؤمن لا يكون حاسداً:

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [الحشر:٨-٩] .

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ قال : هو الحسد[2] .

قال ابن كثير: أي : لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة .اهـ.

[٧] الحسد وإخوة يوسف :

قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ [يوسف:٤-١٥] .

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/٢٠٧، ٢٠٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» وسنده صحيح إلى قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٩٤)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (رقم:٧٦) وهو أثر صحيح الإسناد إلى الحسن.

قال ابن الجوزي في «المدهش» (ص:٨٠) شارحاً لهذا:

«لما تمكن الحسد من قلوب إخوة يوسف أري المظلوم ما للظالم في مرآه: ﴿ **إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا** ﴾، فتلطفوا بخداع ﴿ **مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا** ﴾ وشوقوا يوسف إلى رياض ﴿ **يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ** ﴾ فلما أصحروا أظهروا المقت له، ورموا بسهم العدوان مقتله وأغباش غيابة الجب ﴿ **لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ** ﴾.

وبعد ذلك وصل بهم الحسد إلى أن يلقوه في الجب وفرج الله عنه فأخذه بعض السيارة ثم كان مآله إلى بيت الملك بمصر ثم نشأ وترعرع، وفتنت به امرأة العزيز، وأنقذه الله من سوئها؛ لأنه كان من المخلَصين.

ثم سُجن ثم أُفرج عنه، وقال له الملك: ﴿ **إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** ﴾ [يوسف:٥٤].

وبعد ذلك جاءه إخوته ثم أرسل إلى أبيه وجاءوا بأهلهم أجمعين ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)** ﴾ [يوسف:٩٩-١٠١].

الفصل الثاني
الأحاديث الواردة في الحسد

[١] حسد اليهود للمسلمين:

عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ قال: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على الإسلام والتأمين**» [سنده حسن].

أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، والبخاري في «الأدب» (٩٨٨).

وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٥٧٤)(١).

باب: ذكر حسد اليهود المؤمنين على التأمين: أن يكون زجر بعض الجهال الأئمة والمأمومين عن التأمين عند قراءة الإمام شعبة من فعل اليهود وحسد منهم لمتبعي النبي ﷺ بلفظ: «**إن اليهود حُسَّد وهم لا يحسدون على شيء كما يحسدون على السلام وعلى آمين**» وظاهر سنده الحسن.

وأخرجه أحمد (٦ / ١٣٥)، والبيهقي (٢ / ٥٦) مطولاً، وفيه: «**إنهم لا يحسدون على شيء كما يحسدون على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين**» هذا لفظ أحمد.

قلت: وقد شارك اليهودَ الشيعةُ في حسدهم لأهل السُّنَّة على سُنَّتين، **الأولى:** تكرير السلام ، **والثانية:** التأمين خلف الإِمام.

فتطبيقهما كأنما تنزل بهم الصواعق والحمد لله على أن وفقنا لسُّنَّة نبيه ﷺ ونسأله الثبات عليها حتى نلقاه.

---

(١) وذكره شيخنا في «الصحيح المسند».

وينبغي أن يُعلم أن الشيعة هم أحقد الخلق على أهل الإسلام في كل زمان وكل مكان وجدوا فيه في تطبيق السُنن وغيرها .

[٢] الحسد من أسباب هلاك الأمم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إنه سيصيب أمتي داء الأمم**» قالوا: وما داءالأمم؟ ، قال: «**الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج**» قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢ / ٨٦٣) : أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الحسد»، والطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة بإسناد جيد .

عن الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**» .

أخرجه أحمد (١ / ١٦٥)،والترمذي (٢٥١٠)،والطيالسي(١٩٣) وغيرهم .

قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٨) :حسن لغيره .

وجود إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣ / ٥٤٨)، والهيثمي في «المجمع» (٨ / ٣٠)[1] ، و«إفشاء السلام» في مسلم برقم (٥٤) عن أبي هريرة .

[٣] لا يزال الإنسان بخير ما لم يحسد:

عن ضمرة بن ثعلبة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يزال الناس بخير مالم يتحاسدوا**». أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨ / ٨١٥٧) وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (رقم ٧٨) .

قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٨٧) : حسن .

---

(١) وانظر «مسند الإمام أحمد » طبع مؤسسة الرسالة رقم (١٤١٢) .

[٤] النهي النبوي عن الحسد:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عنه قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**» .

أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) .

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **؛** أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» [(١)] .

أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) .

قال الحافظ: قوله: «**ولا تحاسدوا**» الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أو لا فإن سعى كان باغيًا وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهي المسلم عنها في حق المسلم نظر فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور وإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر؛ لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها أن لا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها .

وعن الحسن البصري قال: ما من آدمي إلا وفيه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء .اهـ.

[٥] التنافس إن لم يصحبه تقوى الله أدى إلى الحسد:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟**» .

قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ :«**أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**» .أخرجه مسلم (٢٩٦٢) .

---

(١) وجاء عن أبي بكر بنحوه عند أحمد (١ / ٣) وغيره ، وسنده صحيح.

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٥١٣/٨):

قوله: «**تتنافسون ثم تتحاسدون**» أصل التنافس: التسابق إلى الشيء أيهم يأخذه أولاً وكأنه كثرة الرغبة في الشيء وهو أول أبواب التحاسد .اهـ.

قال النووي في «شرح مسلم»: قال العلماء: التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه وهو أول درجات الحسد، وأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها.

والتدابر: التقاطع وقد يبقى مع التدابر شيء من المودة أو لا يكون مودة ولا بغض وأما التباغض فهو بعد هذا ولهذا رتب في الحديث ثم ينطلقون في مساكن المهاجرين أي: ضعفائهم فيجعلون بعضهم أمراء على بعض[1] .اهـ.

[٦] الحسد يطرد الإيمان من قلب المؤمن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرًا ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن: غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد**».

أخرجه النسائي (برقم ٣١١١) (٦ / ١٢-١٣)، وابن حبان في «صحيحه» برقم (٤٦٠٦) «الإحسان»، وغيرهما.

وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٨٨٦).

قال العلامة السندي في «حاشية النسائي» شرح هذا الحديث مبينًا أن فيه: تقبيح للحسد وبيان أنه لا ينبغي للمؤمن أن يحسد فإنه ليس من شأنه ذلك.

فمعنى «لا يجتمعان» هاهنا أنه ليس من شأن المؤمن أن يجمعهما ويحتمل أن المراد بالإيمان كماله .اهـ.

(١) وانظر «المفهم» (٧ / ١١٤).

[٧] من أفضل الناس من كان خالياً عن الحسد وملحقاته:

عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ . قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» (١) . قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ . قال: «**هو: التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**» .

أخرجه ابن ماجه (برقم ٤٢١٦) وغيره، وصححه العلامة الألباني « صحيح الترغيب » (٢٨٨٩) .

[٨] هل سلامة الصدر من الحسد من أسباب دخول الجنة؟!!

قال الإمام أحمد (١٦٦/٣):

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليال الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحقر عمله.

---

(١) قال ابن الأثير : هو من خممت البيت إذا كنسته . ا هـ . مادة « خمم » .

قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثَمَّ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرار: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت ثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟.

فقال: ما هو إلا ما رأيت.

قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

كذا أخرجه أحمد من طريق عبد الرزاق وهو في مصنفه (برقم ٢٠٩٥٩)، ومن طريقه أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢/٤٠٩-٤١٠).

والبيهقي في «الشعب» (٥/٢٦٤-٢٦٥) رقم (٦٦٠٥)، وابن عبد البر (٦/١٢١-١٢٢)، والبغوي (٣٥٣٥)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١١٣٥)، وتابع عبد الرزاق عبد الله بن المبارك.

عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٦٣)، حيث قال: أخبرنا سويد بن نصر قال: أخبرنا عبد الله عن معمر به نحوه، ومن طريق النسائي أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٠٩).

وخالفهما شعيب بن أبي حمزة عند البيهقي في «الشعب» (٥/٢٦٥) فرواه عن الزهري قال: حدثني من لا أتهم عن أنس فذكر نحوه وتابع شعيباً عقيل بن خالد، كما أشار إلى ذلك البيهقي في «الشعب» (٥/٢٦٥).

ولكن في «البزار» (٢/٤٠٩) رقم (٨٩٨١) «كشف الأستار» يرويه عقيل عن الزهري عن أنس كذا موصولاً.

فعلى ظاهر هذا يكون الحاصل أن عبد الرزاق وعبد الله بن المبارك يرويان عن

معمر عن الزهري عن أنس مرفوعًا به.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» الآية «١٠» من سورة الحشر:

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس، فالله أعلم اهـ.

قلت: قوله وغيره كأنه شعيب بن أبي حمزة والسند إلى عقيل لم أقف عليه[1] ولو صح إلى عقيل فإن عبد الله بن المبارك ومعمر أرجح من عقيل، فالذي يظهر لي: أن الوصل أرجح، والله أعلم، وهو موصول ظاهره الصحة.

ثم رأيت حمزة الكناني يقول كما في حاشية «عمل اليوم والليلة» للنسائي تحت رقم (٨٦٣): هذا الحديث لم يسمعه الزهري من أنس رواه عن رجل عن أنس، ورواه غير واحد عن الزهري كذلك، رواه عنه عقيل وإسحاق بن يزيد كذلك. وقد جاء الحديث عن ابن عمر.

أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢/ ٤١٠) رقم (١٩٨٢): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الله بن قيس، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر فذكره مختصراً، وهذا السند فيه عبد الله بن قيس ضعيف وبقية رجاله ثقات ولكنه قد توبع.

عند البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٦٦/ رقم ٦٦٠٧) أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا حاجب بن أحمد، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا معاذ - يعني: ابن خالد -، أنبأنا صالح، عن عمرو بن دينار، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه فذكره مطولاً.

وسمى الرجلَ الذي دخلَ أنسُ بنُ مالك عندهما.

وسند البيهقي فيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف الحديث جدًّا.

---

(١) وقد جاء عن عقيل ما يوافق فيه ابن المبارك ومعمر بن راشد، كما تقدم الإشارة إليه.

الفصل الثالث

أقوال السلف في الحسد وأهله

[١] قال عوف بن أبي جميلة:

وجدت في كتاب وهب بن منبه: أن للحاسد ثلاث علامات:

« يتملق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة »[(١)]

[٢] قال ابن سيرين:

ما حسدت برًّا ولا فاجراً وإن يك برًّا فلن أحسده وإن يك فاجرًا فلن أحسده [(٢)].

[٣] قال الفضيل بن عياض:

ما أقل مَن يَعْـدُ أمرَ الحسد ولو عري أحدٌ عري إخوة يوسف ودواء الحسد كتمانه، ودواء الطيرة أن يمضي ، فإن الله عز وجل قال: ﴿ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس:١٩] [(٣)].

[٤] قال ابن أبي عائشة: قال بعضهم:

أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصرف نفسه عذابًا ليس بمدرك به حظًّا ولا غائظًا به عدوًّا فإنا لم نر ظالمًا قط أشبه بمظلوم من الحاسد: طول الأسف ومحالفة الكآبة ولا يبرح زاريًا نعم الله لا يجد له مزالاً ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعمًا ولا يزال ساخطًا على من لا يترضاه ومتسخطًا لما لا ينال فهو منغص المعيشة دائم السخط محروم الطلبة لا بما قسم الله يقنع ولا على ما لم

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في « التويبخ والتنبيه » (رقم:٧٥) وأبو نعيم في « الحلية » (٤ /٤٧) وهو أثر لابأس به.

(٢) أخرجه « أبو الشيخ في « التوبيخ » (برقم:٨١)، وابن عبد البر في « التمهيد » (٦ /١٢٦) وسنده حسن.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (رقم:٨٠) وهو صحيح الإسناد، وجاء بعضه عن الحسن ذكره ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (ص:٢٨).

يقسم له يغلب. والمحسود يتقلب في فضل الله مباشراً للسرور منتفعًا به ممهل فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص[١] .

[٥] قال الأصمعي:

مر قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة وجماعة وعدداً فكره ذلك فقال له الربيع بن زياد: إنه يسوءك ما يَسُر الناس فقال له: يا أخي إنك لا تدري أن مع الثروة والنعمة التحاسد والتخاذل وأن مع القلة التحاشد والتناصر»[٢] .

[٦] قال بكر بن عبد الله المزني:

ذنبك إلى الحاسد دوام نعم الله عليك[٣] .

[٧] قال عبد الملك بن مروان للحجاج:

إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين فأبى فقال: أنا لجوج حقود حسود، فقال عبد الملك: ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرت[٤] .

[٨] وعن حميد قال:

قلت للحسن: يا أبا سعيد، هل يحسد المؤمن؟ ، قال: ما أنساك بني يعقوب؟ لا أبًا لك، حيث حسدوا يوسف لكن غَمِّ الحسد في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك [٥] .

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (برقم:٢٢٠٨) تحقيق الشيخ مشهور بن حسن وسنده رجاله ثقات إلى ابن أبي عائشة وهو متصل ولكن صاحب الكتاب الذي هو الدينوري فيه كلام كما في «اللسان» فإذا كان الأثر الذي أنقله من المجالسة فإني لا أحكم على سنده من أجل هذه العلة، وانظر «عيون الأخبار» (٢ / ١٢).

(٢) أخرجه الدنيوري في «المجالسة» برقم (٢٢٥٦).

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة» برقم (٦٥٥).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» برقم (٦٥٦)، وابن عساكر (١٢ / ١٦٧) من طريق الدينوري والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٧ / ٢٦٠) من طريق آخر.

(٥) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٣٦)، وأبو الشيخ في «التوبيخ» (٧٠)، وسنده صحيح، وأخرجه هناد في «الزهد» (١٣٩٤).

[٩] قال ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٣٦):

العاقل: إذا خطر بباله ضرب من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه، وترك إبداء ما خطر بباله.

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران، أو من تقارب الشكل؛ لأن الكتبة لا يحسدها إلا الكتبة، كما أن الحجبة لا يحسدها إلا الحجبة، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا، إلا وجد فيها من يبغضه عليها، أو يحسده فيها، والحاسد خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكمًا عند نائبة تحدث، فإنه إن حكم لم يحكم إلا عليه، وإن قصد لم يقصد إلا له،وإن حرم لم يحرم إلا حظه، وإن أعطى أعطى غيره وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده.

فليحذر المرء ما وصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني عمه.

[١٠] وقال ابن أبي عائشة:

قال بعض الحكماء: ألزم الناس للكآبة أربعة:

رجل حديد، ورجل حسود، وخليط للأدباء وهو غير أديب، وحكيم محتقر للأقوام وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله: جاهل ورث االضلالة عن أهله، ورأس أهل ملته حظي فيهم بفضل الضلالة، ومُعَظِّم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة، ويرى ما رجى من خيرها قريبًا وما صرف من شرها بعيداً ليس يعقد قلبه على الإيمان، ورجل خالط النُّسَّاك فانصرف عنهم لحرصه وشرهه، ودامجهم على مكر وخديعة (١) .

[١١] وعن وهب بن منبه أنه قال:

أخبر الحاسد أنه لم يرض بقضاء الله عز وجل (٢) .

---

(١) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٣٨) وسنده قوي.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٥٧) وفي سنده بقية ـ وهو ابن الوليد ـ صدوق مدلس وقد عنعن.

[١٢] وقال ابن مسعود:

اعلموا أن من حسد عبداً على ما أعطي فقد أغضب الذي أعطاه: الله عز وجل(١).

[١٣] قال الأصمعي:

« وإذا أردت أن تسلم من الحاسد فعَمِّ عليه أمورك » (٢).

[١٤] عن ابن السماك قيل له:

أي الأعداء لا تحب أن يعود لك صديقًا؟

قال: مَن سبب عداوته النعمة يعني: الحاسد (٣).

[١٤ - ب] قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -:

كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها (٤).

[١٥] قال ابن أبجر في بعض الكتب:

يقول الله تبارك وتعالى: الحاسد عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمي بين عبادي (٥).

[١٦] قال الربيع بن أنس:

إنه مكتوب في الكتاب الأول: إن الحاسد ليس يضره بحسده إلا هو، وليس بضار من حسد، وإن الحاسد ينغصه حسده، وإن المحسود إذا صبر نجاه صبره إن الله عز وجل يقول: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (٦) [يوسف: ٩٠].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ (٥٨) وفي سنده بقية أيضًا.

(٢) أخرجه الدينوري في « المجالسة » برقم (٦٥٦).

(٣) أخرجه الدينوري برقم (٦٥٧) ومن طريقه ابن عساكر.

(٤) أخرجه الدينوري (٦٥٧)، وابن عساكر (١٦ /ق٧٤٣).

(٥) أخرجه الدينوري في « المجالسة » برقم (٦٥٨)، والبيهقي عن الأصمعي في « الشعب » (٥ / ٢٧٤) وسنده إلى الأصمعي قوي.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في « التوبيخ والتنبيه » (٨٢) وفي سنده عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه وهو وأبوه ضعيفان.

[١٧] قال بشر بن الحارث:

«العداوة في القرابة، والحسد في الجيران والمنفعة في الإخوان»[(١)].

[١٨] قال أبو حازم المديني:

ليس لملوك صديق، ولا لحسود راحة، والنظر في العواقب يفتح العقول[(٢)].

[١٩] قال الأصمعي:

رأيت أعرابيًّا في بني عُذْرَة قد أتت له مائة وعشرون سنة فقلت له: ما أطول عمرك؟ فقال: تركت الحسد فبقيت[(٣)].

[٢٠] قال أبو عبيدة:

ستة لا يخلون من الكآبة: رجل افتقر بعد غنى، وغني يخاف على ماله النَّوَى وحقود وحسود وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ومخالطة العلماء بغير علم[(٤)].

[٢١] قال داود بن رشيد:

قالت حكماء الهند: لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثناء مع كِبْر ولا صداقة مع خَبٍّ ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرٍّ مع شح، ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع هزوٍ، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إِصرار، ولا سلام قلب مع غيبة، ولا راحة مع حسد، ولا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع عزة نفس وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلْك مع تهاون وجهالة وزراء[(٥)].

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٧٣-٢٧٤، ٢٧٨)، وفي سنده من لم أقف على ترجمته.

(٢) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١١٤٠) وقال بعده: قال ابن عيينة: فذاكرت الزهري بهذه الكلمات فقال: كان أبو حازم جاري وما علمت أنه يحسن مثل هذه الكلمات.

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة» برقم (٦٦٠)، والمبارك بن عبد الجبار في «الطيوريات».

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٦٦١).

(٥) أخرجه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٤١)، والدينوري في «المجالسة» (رقم: ١٥٣٦).

[٢٢] قال يحيى بن خالد:

الحاسد عدو مهين لا يدرك وَتْرَه إلا بالتمني[١] .

والوَتْرُ: هو الجناية التي يجنيها الرجل على غيره.

[٢٣] قال الأصمعي:

سأل عبد الملك بن مروان الهيثم بن الأسود فقال له: ما مالك؟ ، قال: القِوام من العيش، والغنى عن الناس .

فقيل له: ألا خبرته؟ .

قال: لو قلت له: إنه قليل حقرني أو إنه كبير حسدني[٢] .

[٢٤] قال ابن سيرين:

ما حسدت أحداً قط على شيء ، إن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا ومصيره إلى النار؟!، وإن كان من أهل الجنة فكيف أحسد رجلاً من أهلها أوجب الله تبارك وتعالى له رضوانه؟! .

[٢٥] قال مسلم بن إبراهيم:

ما سمعنا شيئًا أحسن من هذا في كلام ابن سيرين[٣] .

[٢٦] وقال أيضًا:

ما حسدت أحداً قط برًّا ولا فاجرًا [٤] .

[٢٧] قال الأحنف بن قيس:

هن كما أقول لا راحة لحسود، ولا مروءة لكذوب، ولا وفاء لمملوك، ولا حيلة

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢١٨٦).

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٧٥٠).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق » (١٥ /ق٤٤٢) وابن أبي الدنيا في «الورع» (رقم:٤٧)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٣٤) وغيرهم، وفي سنده من لم يتبين لي.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧ / ١٩٦)، وأبو الشيخ في «التوبيخ» (٨١) وسنده عند ابن سعد صحيح.

لبخيل ولا سؤدد لسيء الخلق[١] .

[٢٨] قال الخليل بن أحمد:

ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وعقل هائم وحزن لائم[٢] .

[٢٩] قال ذو النون:

وهو داخل إلى الحبس: «الحسد داءٌ لا يبرأ وحسب الحسود من الشر ما يلقى»[٣].

[٣٠] وقال أيضًا: الحسد جرح ما يبرأ إذ بحسب الحسود ما يلقى[٤] .

[٣١] قال قتادة: ما كثرت النعم على قوم قط إلا كثر أعداؤهم.

[٣٢] قال محارب بن دثار : [٥]

إني لأدع لبس الثوب الجديد مخافة أن يظهر في جيراني حسد لم يكن[٦] .

من أقوال أهل العلم :

[١] قال الإمام البيهقي في «الشعب» [٧] **(٢٦٣/٥):**

الحسد: مذموم والحاسد غير الغابط، لأن الحاسد من لا يحب الخير لغيره ويتمنى زواله عنه والغابط من يتمنى أن يكون له من الخير مثل ما لغيره.

والحاسد يعتبر إحسان الله إلى أخيه إساءة إليه وهذا جهل منه، لأن الإحسان الواقع بمكان أخيه لا يضره شيئًا فإن ما عند الله واسع وقد يكون الحاسد متسخطًا لقضاء الله وذلك يدنيه من الكفر لولا أنه ما دَلَّ فيقول: إنما أكره الغم الذي بي فيما آتاه الله لا القضاء نفسه.اهـ.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٧٣) وفي سنده مبهم.
(٢) المصدر السابق وفيه مبهم.
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٧٦)، وسنده لا بأس به.
(٤) المرجع السابق .
(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٧٧) وسنده صحيح.
(٦) المصدر السابق، وظاهره الصحة.
(٧) نقله من «المنهاج في شعب الإيمان» (٣/ ١٠٣) للحليمي.

[٢] قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٤٦/٨):

الحسد: أخس الطبائع وأول معصية عُصي الله بها في السماء حسد إبليس لآدم ، وفي الأرض حسد قابيل لهابيل اهـ.

[٣] قال القرطبي في «الجامع» (٢٥٩/٢٠):

الحسد: تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تَزُل فالحسد شر مذوم، والمنافسة مباحة وهي الغبطة .اهـ.

قال الحافظ ابن حجر كما في « تقريظه للرد الوافر» (ص٢٤٩- ٢٥٠) لابن ناصر الدين: إن الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه وأن يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه.

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله . . . .

أعاذنا الله من حسد يسد باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف .اهـ.

[٤] قال ابن جزي في «تفسيره» (ص٨٦٥):

الحسد خُلُق مذموم طبعًا وشرعًا . . . والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات:

أحدها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه من كثرة همه وغمه.

فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة.

[٥] قال العلامة الألوسي في «روح المعاني» (٥٠٧/١٦):

الحسد يطلق على تمني زوال نعمة الغير وعلى تمني استصحاب عدم النعمة ودوام ما في الغير من نقص أو فقر أو نحوه، والإطلاق الأول هو الشائع والحاسد بكلا الإطلاقين ممقوت عند الله تعالى وعند عباده ـ عز وجل ـ ، آتٍ بابًا من

الكبائر على ما اشتهر بينهم. اهـ المراد.

[٦] قال الهيتمي في «الزواجر» (١/١٠٠):

قد علمت معنى الحسد فلا حسد إلا على نعمة بأن تكرهها للغير وتحب زوالها عنه فإن اشتهيت لنفسك مثلها مع بقائها لذويها فهو غبطة وقد يخص باسم المنافسة وهي قد تسمى حسداً، كما مر في خبر «**لا حسد إلا في اثنتين**».

إذا تقرر ذلك فالأول: حرام وفسوق بكل حال.

نعم، إن تمني زوال نعمة فاجر من حيث إنها آلة إفساده وإيذائه الخلق ولو صلح حاله لم يتمنَ زوالها عنه فلا حرمة؛ لأنه لم يتمنَ زوالها من حيث كونها نعمة بل من حيث كونها آلة الفساد والإيذاء ويدل على تحريم الحسد وأنه فسوق وكبيرة ما قدمناه من الأخبار.

ومن آفاته أنه تسخطٌ لقضاء الله إذ أنعم على الغير مما لا مضرة عليك فيه وشماتة بأخيك المسلم.اهـ المراد.

[٧] قال الإمام البخاري في «صحيحه»: باب/ ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال الحافظ [(١)]:

أشار بذكر هذه الآية إلى أن النهي عن التحاسد ليس مقصوراً على وقوعه بين اثنين فصاعداً بل الحسد مذموم ومنهي عنه، ولو وقع من جانب واحد؛ لأنه إذا ذم مع وقوعه مع المكافأة فهو المذموم مع الإفراد بطريق الأولى.

[٨] قال ابن حبان في «روضة العقلاء» (١٣٣):

الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها: فإن أهون خصال الحسد، هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعمة عن أخيه وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء.

---

(١) شرح حديث رقم (٦٠٦٤).

وقال (ص١٣٤): الحسد من أخلاق اللئام وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفئ، ونار الحسد لا تطفأ.

ومن الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتًا مرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ وثمرته الندم.

والحسد اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره، وحلولها فيه فأما من رأى الخير في أخيه، وتمنى التوفيق لمثله، أو الظَفَر بحاله، وهو غير مريد لزوال ما فيه أخوه فليس هذا بالحسد الذي ذم ونهي عنه.

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه، فكلما أتحفه الله بتزداد النعم، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم.

وقد كان داود بن علي ينشدني كثيراً:

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... ياذا المعارج لا تنقص لهم عدداً
إن يحسدوني على ما كان من ... فمثل خلقي فيهم جر لي حسداً

وقال (ص١٣٧): بئس الشعار للمرء الحسد؛ لأنه يورث الكمد، ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له، والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت، وإن رأى به عثرة شمت ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين، وما رأيت حاسداً سالم أحداً.

والحسد داعية إلى النكد، ألا ترى إبليس؟ ،حسد آدم فكان حسده نكداً على نفسه فصار لعينًا بعد ما كان مكينًا.

ويسهل على المرء ترضي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى، إلا الحسود، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها.

الفصل الرابع

بعض آثار الحسد

لما كان الحسد خلقًا ذميمًا يتصف به كل ذميم كانت عواقبه وآثاره وخيمة جدًّا فمن تلك الآثار على سبيل الاختصار.

(١) يؤدي إلى التباغض:

معلوم أن الحاسد إذا حصل وتحقق منه الحسد يؤدي به إلى البغض الشديد للمحسود حتى إنه يبغض شكل المحسود وأخلاقه ولو كان متصفًا بأخلاق الأنبياء وقد ثبت النهي عن التباغض فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» أخرجه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤).

فانظر رحمك الله كيف بدأ الهدي النبوي بالنهي عن الحسد؛ لأنه الطريق إلى ما بعده وهي كلها من آثار الحسد وإليك بيانها:

[١] التناجش:

قال القرطبي في «المفهم» (٦ / ٥٣٥ ، ٥٣٦) :

«**ولا تناجشوا**» قيل فيه: إنه من باب النجش في البيع وفيه بعدٌ؛ لأن صيغة تفاعل لا تكون إلا من اثنين فتناجش لا يكون من واحد والنجش يكون من واحد فافترقا وإن أصلهما واحد.

ولأن أصل النجش الاستخراج والإثارة وقيل: «**لا تناجشوا**» لا ينفر بعضكم

بعضًا أي: لا يعامله من القول بما ينفره كما ينفر الصيد بل يسكنه، ويؤنسه كما قال: «**سكنا ولا تنفرا**» (١) ، وهذا أحسن من الأول اهـ.

فعلم أن النجش المقصود في الحديث هو التغير عن الأخ المسلم وهذا من أسباب الحسد عياذاً بالله .

[٢] التباغض:

والمعنى بقوله: «**لا تباغضوا**» النهي عن تعاطي أسباب البغض الذي الحسد أحدها وذلك؛ لأن الحب والبغض معانٍ قلبية لا قدرة للإنسان على اكتسابها ولا يملك التصرف فيها (٢) .

[٣] التدابر:

قوله: « **لا تدابروا** » قال النووي: التدابر المعاداة وقيل المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره اهـ.

وهذا من أهم آثار الحسد ومن أول ما يظهر من آثاره أن يرى الحاسد آخاه فيدبر عنه لما يحس به من الحسد والحقد في قلبه على أخيه عياذاً بالله .

[٤] ومن آثار الحسد أيضًا أنه يؤدي إلى المقاطعة:

وفي ذلك ما أخرجه مسلم (٢٥٥٩) (٢٤):

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانًا** » (٣) .

فذكر التقاطع بعد الحسد لأنه من دواعيه وأسبابه.

قال القرطبي :أي :لا تقاطعه فلا تكلمه ولا تعامله وهو معنى لا تهاجروا (٤) اهـ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦١٢٥) عن أنس بلفظ « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » .

(٢) انظر « المفهم » (٦ / ٥٣١) و« شرح النووي لمسلم » (شرح حديث رقم (٢٥٥٩) .

(٣) تقدم الحديث وأصله في « الصحيحين » .

(٤) « المفهم » (٦ / ٥٣١) .

فانظر أخي - رحمك الله - كيف هذا الشرع المصطفوي ينهى عن كل ما يدعو إلى تفكيك أواصر الأخوة والألفة الذي السبب الأول في تفكيكها وتمزيقها الحسد فكن على حذر منه ، وفقنا الله وإياك لطاعته.

[٥] ومن آثار الحسد أيضًا أنه يؤدي إلى هجر غير شرعي بل مخالف للشرع الرباني:

ومما في ذلك ما أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠):

عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

وأخرج مسلم (٢٥٦٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا هجرة بعد ثلاث** ».

قال النووي: قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث.

الأول: بنص الحديث، والثاني: بمفهومه [١].

أقول: وأنت أيها المسترشد تعلم أن للهجر أسبابًا من أقواها ما يكنه الحاسد في قلبه من الحسد لأخيه فإذا ما أظهر هذا الحسد أفسدت الأخوة وامتلأت القلوب بالبغض وحصل الهجر وربما وصل إلى ما هو أشد منه. والله أعلم.

[٦] ومن آثار الحسد القبيحة أيضًا أنه يؤدي بالحاسد إلى سوء الظن بإخوانه الذين يحاسدهم.

فلا يكاد يظهر شيء من المحسود أو يتكلم به إلا وحمل كلامه أو فعله ذلك الحاسد على أقبح ما يحمل عليه على ذلك الأمر أن يذهب من درجة ذلك

---

(١) «شرح النووي لمسلم» (حديث رقم: ٢٥٦٠)، و«المفهم» (٦ / ٥٣٢، ٥٣٣).

المحسود أو يؤثر فيما أنعم الله عليه به فيطيب ذلك القلب الخبيث المليء بالحسد .

ومما في النهي من ذلك ما أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا** » .

قال النووي: المراد بالنهي عن ظن السوء .

قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به .اهـ.

فنهى النبي ﷺ عن الظن السيئ والاتهام بتهم باطلة ناشئة عن ذلك الظن السيئ ، فيريد ذلك الحاسد الذي يظن هذا الظن أن يؤكد ظنه بالتحسس والتجسس فيبحث ويتبصر ويستمع عله يجد ما يحقق به ظنه السيئ فيعود بالخيبة والخسارة ومع ذلك يحمل الأمور على غير محاملها، ويحاول إثبات ظنه السيئ بشكل أو بآخر، وهذا ما قد لاحظناه في بعض الحساد عياذًا بالله من هذه الصفات القبيحة ، ولذلك يخبر الله عن مثل هذا الظن السيئ فيقول: ﴿ **وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا** ﴾ [الفتح:١٢] أي: إن المنافقين لحسدهم وبغضهم لهذا الدين وأهله ظنوا أن نبيه وصحبة نبيه هالكون فوبخهم الله بهذا القول (١) .

وقد كان السلف الصالح في غاية الحذر من سوء الظن أو التهمة بما ليس في المتهم فقد أتى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا فقال: إنا نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به (٢) .

وأخرج البخاري في « الأدب » عن أبي العالية قال: « كنا نؤمر أن نختم على

---

(١) راجع « تفسير ابن كثير » آية رقم [١٢] من سورة الفتح، و« المفهم » (٦ / ٥٣٤، ٥٣٥)، و« شرح النووي » (حديث رقم ٢٥٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٩٠)، وسنده صحيح.

الخاتم ونكيل ونعدها كراهية أن يتعودوا خلق سوء أو يظن أحدنا ظن سوء» وسنده صحيح، انظر «صحيح الأدب» رقم (١٢٤).

وأخرج أبوالشيخ عن عمر بن عبد العزيز، أنه قال: «أحسن الظن بأخيك حتى يغلبك» سنده قوي وأخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتثنية» برقم (١٥٤) و(١٥٨) . وأخرج أيضًا برقم (٢٢٩) بسند صحيح عن قتادة ، قال: «**والله لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظن بأخيك إلا خيراً**» ، فقال: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٠].

والنبي ﷺ يقوم يومًا في أصحابه على المنبر فنادى بصوت رفيع: « **يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**» [1] .

ويقول معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم**» قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها [2] . وأخرج أبو الشيخ عن[3] ابن سيرين أنه قال: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد له عذراً ؛ فقل لعل له عذراً » وأخرج هناد السري [4] عن أبي قلابة بنحوه.

[٧] ومن آثار الحسد السيئة أيضًا: أنه يؤدي إلى عدم مغفرة الله ـ عز وجل ـ للحاسد:

وربما تعدى ذلك إلى المحسود ومما في ذلك ما أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥): عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين**

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) وهو حديث حسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) وسنده صحيح .
(٣) في «التوبيخ والتنبيه» (٩٧) وهو قوي إن شاء الله .
(٤) في «الزهد» (١٢٢٥) وفي سنده مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن.

ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

وفي رواية له : « **فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا أو اركوا هذين حتى يفيئا** » .

قد سبق لك أن الحسد يؤدي إلى التباغض والتقاطع حتى تصبح القلوب مليئة بالشحناء، وبالأخص الحاسد لأنه لا يرضى مهما حصل ومهما كان إلا بزوال تلك النعمة التي يحسد المحسود من أجلها فلا يزال الشحناء في قلبه مدى الأيام والسنين فيمنع ويحجب من توبة الله عليه وغفرانه له ـ فأسألك أيها الحاسد إذا كان الله جل ثناؤه قد أبعد عنك غفرانه وتوبته فإلى من ترجع ليقبلك ويقبل أعمالك وإلى من تئوب ؟! .

من كل شيء إذا فوته عوض ... وليس من الله إن فوته عوض

فليس هناك حل سوى التصدي لهذا الحسد وإزالته منك ومدافعته بكل ما تملك والتصافح والتسامح مع إخوانك وبذل الجميل إليهم بقدر مستطاعك .

وإذا كان الحاسد بهذه المثابة من الشحناء فما ذنب المحسود (١) ؟ .

إن قابل المحسود الحاسد بالشحناء والبغض كذلك كان داخلاً في هذا والله أعلم وإن عفى وصفح وقابل بالجميل، وإن لم يقبله الحاسد فإنا نرجوا أنه لا يكون داخلاً تحت هذا ، وإن أعرض عنه الحاسد وأصر على ما هو عليه ودليل ذلك قوله : «**هذين حتى يصطلحا**» .

فإذا حصل عدم الشحناء من أحدهم فإنه لا يكون داخلاً تحت هذا، والعلم لله وحده (٢) .

---

(١) وبأي وجه تكون الشحناء سواء بالحسد أم بغيره؟ ، ولكن نصصت على الحسد لأنه الموضوع الذي نطرقه .
(٢) وانظر «المفهم» (٥/ ٥٣٩، ٥٤٠) .

[٨] ومن آثار الحسد أيضًا: أنه يؤدي بصاحبه إلى الغيبة التي هي من كبائر الذنوب:

ويقول الله في النهي عنها: ﴿ **وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ [الحجرات:١٢].

ومما في ذلك ما أخرجه مسلم (٢٥٨٩):

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة ؟** » ، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟.

قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بهته**».

والحاسد أول من يقع في هذا الأمر لأنه يقدح في المحسود بأي وجه كان سواء كان فيه الأمر الذي يقدح فيه بسببه الذي يزعم أم لم يكن فيه ذلك فإذا كان الأمر على وفق ما الحاسد يتكلم به فهي الغيبة بعينها، وإن لم يكن فهو البهتان والثاني أكثر ما يكون من الحاسد لأن الحسد يحمله ويؤزه إلى ذلك أزًّا عياذاً بالله وحده من هذه الصفات الذميمة.

وينسى عندها الحاسد أو يتناسى قول النبي ﷺ في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت**»[1] فالحاسد ينتهك هذه الحرمة كلما سنحت له الفرصة بذلك.

[٩] ومن آثار الحسد وعواقبه: أنه يؤدي به إلى إساءة المجورة إلى جيرانه:

فالغالب على الحاسد أن يحسد من كان مجاوراً له لما يرى من نعم الله عليه.

ومما في ذلك ما أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٧٥):

« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»

(١) وقد جاء الحديث عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكرة متفق عليه وجابر بن عبد الله انفرد به مسلم.

وأنت خبير بأحوال الحاسد بعدما تقدم لك من الأحاديث والآثار في هذا فإن الحاسد لا يمنعه مانع شرعي ولا عرفي إذا حصل حسده من تنفيذه في محسوده فإذا كان الحسد إلى الجار فإنه يؤذيه بما يستطيع حسداً لما أنعم الله عليه به.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[١٠] ومن آثار الحسد أيضاً: أنه يؤدي به إلى عدم الابتداء بالسلام على المحسود:

وهذه خسارة عظيمة ومما في ذلك ما أخرجه أبو داود برقم (٥١٩٧):

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أولى الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام**» وهو حديث صحيح [١] ، وهذا شاق على الحاسد أن يبدأ بإلقاء السلام على المحسود لما في قلبه من الحسد عليه والله المستعان.

وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٢ / ٤٨) عن مجاهد في قوله: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [فصلت:٣٤] قال: هو السلام إذا لقيته، وسنده صحيح [٢] .

[١١] والحسد بوابة للاستطالة في عرض المسلم:

ومما في ذلك ما أخرجه أبو داود (٥١٩٧):

عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من أربا الربا :الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**» وهو حديث صحيح [٣] .

وهذا والله من عواقب الحسد وما بعد هذا أشد فتأمل ما أخرجه أبو داود أيضاً (٤٨٧٨):

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هؤلاء**

(١) يصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (٥ / ٢١٨).

(٢) وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥ / ٢٧٠) من طريق عبد الرزاق وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩ / ٦٨).

(٣) يصححه شيخنا أيضاً في «الجامع الصحيح» (٥ / ٢٥١).

يا جبريل؟ ، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وهو حديث صحيح[١] .

[١٢] ومن آثار الحسد على الحاسد: أنه يكون من شر الناس:

وفي ذلك ما أخرجه الترمذي (٢٢٦٣) :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس فقال: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟**» ، قال: فسكتوا، فقال: «**خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره**» وهو حديث حسن[٢] .

ومعلوم أن الحاسد لا يُؤْمن شره ولذلك أمر الله نبيه بالاستعاذة من شره فقال: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ [سورة الفلق] .

[١٣] ومن آثار الحسد، أن يكون الحاسد مذياعاً مكلحاً:

أما الإذاعة فإنه يحب أن يذيع عن المحسود أي شيء يسوء المحسود وفي نفس الوقت عبوساً في وجهه[٣] .

وفي ذلك ما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم (٣٢٧) :

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « لا تكونوا عجلاً مذاييع [٤] بذراً [٥] ، فإن من ورائكم بلاءً مبرحاً [٦] مبلحاً [٧] وأموراً متماحلة [٨] ردحاً [٩] » وهو صحيح الإسناد[١٠] .

---

(١) يصححه شيخنا في «الجامع الصحيح» (٥ / ٢٥١) .

(٢) في «الجامع الصحيح» (٥ / ٢٦٩) .

(٣) هذا في الغالب وإلا فرب حاسد يظهر لك بوجه ويبطن لك الشر كله .

(٤) جمع مذياع من أذاع الشيء والمراد هاهنا الذين يشيعون الفاحشة .

(٥) البذر: جمع بذور الذي لا يستطيع أن يكتم سره أي : المفشون للأسرار .

(٦) التبرح: بفتح وسكون الشِّدة و الشر والعذاب الشديد والمشقة .

(٧) وفي بعض الطرق: «مكلحاً» أي: يكلح الناس لشدته . والكلوح: العبوس .

(٨) المتماحل من الرجال الطويل .

(٩) جمع رداح وهو الجمل المثقل حملاً، والمعنى الفتن الثقيلة العظيمة اهـ. كل هذه المعاني من حاشية «صحيح الأدب» (١٣٤) .

(١٠) ويصححه الشيخ الألباني في «صحيح الأدب» (٢٥٠) .

[١٤] ومن آثار الحسد: أن الحاسد يكون من أبغض الناس إلى الله ورسوله ﷺ :

وفي ذلك ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» (برقم ٧٦٩٣):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبكم إلي أحسنكم أخلاقًا: الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله: المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبراء العنت**» وفي «المعجم الصغير» برقم (٨٢٢) بلفظ: «... **وإن أبغضكم إلي: المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبراء العيب**» (١) .

فالحاسد يلتمس للمحسود أي عيب يجده وهو منه بريء وربما بهته بالتخلف عن بعض الطاعات ونحوها من الافتراءات كذبًا وافتراءً يحمله على ذلك الحسد وعدم مراقبة الله في أقواله وأفعاله.

[١٥] من آثار الحسد: أن يُحرم صاحبه من المصافحة التي فيها الأجور الكثيرة:

فمما ورد في ذلك ما أخرجه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧):

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا**» (٢) .

وأخرج الطبراني في «الأوسط» برقم (٢٤٥).

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر**»(٣) .

فهذان الحديثان وما في معناهما يدلان على فضيلة مصافحة المسلم لأخيه وما في ذلك من الأجر وتناثر الخطايا ولكن الحاسد يُحرم مثل هذه الأجور ؛لأن حسده يمنعه من أن يضع يده في يد أخيه للمصافحة، وإن التقيا وكان لا بد

(١) قال العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٥٨): حسن لغيره.
(٢) قال العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧١٨): صحيح لغيره.
(٣) وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٢٠).

فكأنما وضع في يده الجمر، عياذاً بالله من الحسد وأهله.

فهذه خمسة عشر أثراً تيسر لي ذكرها من آثار الحسد وليس ذلك على سبيل الحصر، إنما هو على سبيل الذكر [1] ، ولعل في ذلك كفاية لمن أصيب بمرض الحسد أن يتعظ فيتوب إلى الله مما هو فيه لما يرى من آثار وخيمة عائدة عليه في الدنيا والآخرة، والله ولي الهداية والتوفيق.

وأختم هذا الفصل بذكر ما قاله الماوردي ـ رحمه الله ـ في «آداب الدنيا والدين» (ص٢٦٤) حيث قال بعد ذكره لدواء الحسد: وإن صدته الشهوة عن مراشده وأضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء بأربع مذام:

إحداهن: حسرات الحسد وسقام الجسد ثم لا يجد لحسرته انتهاء ولا يؤمل لسقمه شفاء، وقال ابن المعتز: الحسد داء الجسد.

والثانية: انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه ونفورهم منه وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود.

والثالثة: مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبًّا وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليًّا فيصير بالعداوة مأثوراً وبالمقت مزجوراً.

والرابعة: إسخاط الله تعالى في معارضته واجتناء الأوزار في مخالفته إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً ، ولذلك قال النبي ﷺ: **«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»** [2] .

---

(١) وقد تقدم في الفصل الثالث ذكر بعض آثار الحسد في بعض كلام أهل العلم ولم أعد ذكره هاهنا خشية الإطالة.

(٢) هذا حديث مشهور بين الناس ولكنه ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ فقد أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، وأبو يعلى (٣٦٥٦)، والقضاعي (١٠٤٩) وغيرهم من طريق عيسى الحناط عن أبي الزناد عن أنس وهذا سند ضعيف جداً فإن عيسى وهو ـ ابن أبي عيسى الحناط ـ متروك الحديث.
وأخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٦٠) من طريق عيسى الحناط عن الشعبي عن أنس ويحتمل أن يكون هذا من تخليط الحناط فإنه متروك كما تقدم.
وأخرجه أيضاً أبو الشيخ (٧٣) من طريق أبي مسلم عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن عن أنس =

وقال عبد الله بن المعتز: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب ما لا يجده.

مرفوعًا: «**إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب**» وقد رواه أبو معاوية عند هناد السري في «الزهد» (١٣٩١) عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ، كذا مرسلاً وهو الأصوب، وهو مرسل ضعيف الإسناد جداً فإن يزيد الرقاشي ضعيف جداً.

وأخرجه الخطيب في «التاريخ» (٢/٢٢٧) من طريق أبي هلال عن قتادة عن أنس مرفوعًا بنحوه وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسبي ضعيف وقد حسن العراقي هذه الطريق في «تخريج أحاديث «الإحياء» (١٢٥).

وأخرجه أبو داود (٤٩٠٣) من حديث أبي هريرة بنحوه وقال البخاري في «التاريخ» (١/٢٧٢): لا يصح. وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٤٨) عن ابن عمر وفي سنده عمر بن محمد بن حفص أبو حفص الخطيب ذكره الذهبي في «الميزان» وذكر له هذا الحديث بهذا السند ثم قال: فهذا بهذا الإسناد باطل.

فالحديث من جميع طرقه لا يصح وشيخنا مقبل كان يضعفه وكذا الشيخ الألباني ذكره في «الضعيفة» (١٩٠١).

«نصيحة الماوردي لمن ابتلي بحاسد»

قال: وإذا بلي الإنسان بمن هذه حاله من حسَّاد النعم وأعداء الفضل استعاذ بالله من شره، وتوقى مصارع كيده، وتحرز من غوائل حسده وأبعد عن ملابسته وإدتائه لعضل دائه وإعواز دوائه فقد قيل: حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها.

وقال بعض الحكماء: من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه فإن قلب الأعيان صعب المرام.

وقال عبد الحميد: أسد تقاربه خير من حسود تراقبه.

وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا ... إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنبًا إليه علمته ... إلا تظاهر نعمة الرحمن

وأبى فما يرضيه إلا ذلتي ... وذهاب أموالي وقطع لساني

وفي «المجالسة» للدينوري (١٥٣٦):

حدثنا إبراهيم الحربي قال: سمعت داود يقول: قالت حكماء الهند:

لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب[١]، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا محبة مع هزء، ولا قضاء مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلم قلب مع غيبة، ولا راحة مع حسد، ولا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع عزة نفس وعجب، ولا صواب مع ترك مشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون[٢].

---

(١) يعني الخداع والغش والخبث.

(٢) وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧ / ١٤١) من طريق الدينوري، والدينوري فيه كلام وبعضهم دافع عنه، انظر ذلك في «اللسان» وفي مقدمة «المجالسة» للشيخ مشهور بن حسن.

الفصل الخامس
أسباب الحسد وعلاجه

أسباب الحسد :

الحسد مرض : السالم منه قليل.

قال شيخ الإسلام:

« الحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس ، ولهذا يقال : « ما خلا جسد من حسد لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه » .

وقد قيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن؟ ، فقال : ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك ولكن عمه في صدرك؛ فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً أو لساناً » [1] .

« هذا أمر لا يكاد ينفك منه في باطنه ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك بل يأثم بتمني زوال النعمة عن أخيه المسلم »[2] .

ومعلوم أن الله « قد ركب في الطباع حب التفاضل على الجنس فما أحد إلا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره، فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواه فينبغي له أن يتجلد بستر تلك النكبة لئلا يشمت به ذو العافية »[3] .

فمن الأسباب التي تظهر الحسد:

[١] نعم الله الظاهرة لاسيما منها العلم والمال:

معلوم أن بالعلم يسود الشخص من دونه وبالمال كذلك، وهكذا كافة النعم

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ١٢٤، ١٢٥).
(٢) « الطب الروحاني » لابن الجوزي (ص٣٤).
(٣) « صيد الخاطر » (ص٣٦٠، ٣٦١).

الظاهرة تؤدي إلى إظهار حسد الحاسد ـ الخالي عن التقوى ـ على صاحب تلك النعمة.

قال شيخ الإسلام: «والنفوس لا تحسد من هو في تعب عظيم؛ فلهذا لم يذكره يعني في الحديث المتفق عليه: «**لا حسد إلا في اثنتين...**» ـ، وإن كان المجاهد في سبيل الله أفضل من الذي ينفق المال بخلاف المنفق والمعلم فإن هذين ليس لهما في العادة عدو من خارج فإن قدر أنهما لهما عدو يجاهدانه فذلك أفضل لدرجتهما . . . .

والحسد في الأصل إنما يقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة وإلا فالعامل لا يحسد في العادة ولو كان تنعمه بالأكل والشرب والنكاح أكثر من غيره.

بخلاف هذين النوعين فإنهما يحسدان كثيراً ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد ما لا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فيمن له أتباع بسبب إنفاق ماله فهذا: ينفع الناس بقوت القلوب. وهذا ينفع الناس بقوت الأبدان، والناس كلهم محتاجون إلى ما يصلحهم من هذا وهذا»[(١)] .

وهل الحسد هاهنا لما يكسبه أصحاب النعم من الخير؟

يجيب على هذا ابن الجوزي حيث قال:

«واعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا فإنك لا ترى أحداً يحسد قوام الليل ولا صوام النهار ولا العلماء على العلم بل على الصيت والذكر»[(٢)] .

[٢] التشارك في المطالب والتنافس فيها:

قال شيخ الإسلام:

«حسد النساء بعضهن لبعض كثيراً غالبًا لاسيما المتزوجات بزوج واحد، فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه، فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١١٤، ١١٥) .

(٢) وانظر «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٢٧).

وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطًا من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه كحسد أخوة يوسف وكحسد ابني آدم، أحدهما لأخيه ؛ فإنه حسده على ما فضله الله به من الإيمان، والتقوى ـ كحسد اليهود للمسلمين ـ وقتله على ذلك »[1] .

[٣] بعض أمراض النفس تؤدي إلى الحسد:

من ذلك: العداوة والبغضاء:

فإن الإنسان إذا عادى غيره أوعاداه غيره؛ أدى ذلك إلى الأذية فنتج من ذلك البغض والحقد والحسد في كل ما يأتي ويذر إلا من رحمه الله وكانت تقوى الله تحجزه من ذلك .

الـكِـبَـر:

ويدخل فيه الترفع والعجب؛ لأن المستكبر والمترفع والمعجب بنفسه إذا رأى من قد أنعم الله عليه ورفعه بفضله ـ على مكانة المستكبر أو المعجب بنفسه ـ، كان ذلك من أسباب حسد المستكبر والمعجب بنفسه لذلك الرجل الذي أنعم الله عليه بذلك .

الخوف من فوات المقصود:

يؤدي هذا إلى تحاسد طلبة ذلك المقصود سواء كان حب التزعم والرياسة أو غير ذلك، والله المستعان .

البغض والحقد:

سببان ظاهران ومقومان بينان للحسد ، نسأل الله السلامة .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ١٢٥، ١٢٦)، وانظر « روضة العقلاء » (ص١٣٦)، وقد تقدم نقل الكلام في « الفصل الرابع » .

عـلاج الحسـد

الحسد يعتبر داءً كما في حديث النبي ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء**» (١) .

وإذا علم أنه داء وهو يعتبر من شرور الأدواء على النفس والغير فإن النبي ﷺ يقول: «**ما أنزل الله من داء إلا وله شفاء**» (٢) .

من علاجات مرض الحسد:

[١] أذكار الصباح والمساء والنوم والذكر مطلقاً:

فمعلوم أن الأذكار لها دور كبير في علاج كثير من الأمراض القلبية وغيرها وذكر الله يذهب كثيراً منها: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨) ﴾ [الرعد:٢٨] .

[٢] العلم بأن الحسد ضرر محض في الدين والدنيا:

وأما المحسود ؛ فإنه ينتفع بذلك من الحاسد .

قال ابن الجوزي:

اعلم أن الحسد يوجب طول السهر وقلة الغذاء ورداءة اللون وفساد المزاج ودوام الكمد، قيل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة: ما أطال عمرك ؟ ، قال: تركت الحسد فبقيت.

وعلى ذلك فمن أدوية مرض الحسد أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة.

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) عن أبي هريرة.

وأما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حقيقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين.

وقد انضاف إلى أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى.

وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم.

وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا، فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ نعم الله تعالى على أعدائك تترى بغيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، لقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك.

ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة، فما أعجب إلا لعاقل كيف يتعرض لسخط الله ؟!.

[٣] التقوى والصبر:

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه.

ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش رضي الله عنها فإنها هي التي كانت تسامي عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » [١].

[٤] العمل على نقيض ما يقتضيه الحسد:

قال ابن رجب:

« وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبته وأن يكون المسلم خيراً منه وأفضل وهذا من أعلى درجات الإيمان وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [٢] .

وقال الهيتمي:

« العمل النافع لذلك المرض هو أن تكلف نفسك أن تصنع بالمحسود ضد ما اقتضاه حسدك فتبدل الذم بالمدح والتكبر عليه بالتواضع له ومنع إدخال رفق عليه بزيادة الإرفاق به وهكذا، فبهذا يضعف داء الحسد وكلما زدت من ذلك تناقص الحسد إلى أن ينعدم، فافهم تسلم وامتثل تغنم والله سبحانه الموفق وإليه ترجع الأمور » [٣] .

[٥] عدم التطلع على نعم الله على الآخرين :

إن النعم على المحسود تثير الحسد عند الحاسد فينبغي للحاسد أن يكف نفسه عن التطلع إلى تلك النعم ومن ذلك عدم مخالطته للمحسود.

وقال الهيتمي:

« لا شك أن كل أحد يبغض من آذاه طبعًا ، فلا يستوي عنده حسن حاله

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٢٥).
(٢) « جامع العلوم والحكم » (ص٣٢٧).
(٣) « الزواجر » (١ / ١٠٣).

وسوءه غالبًا، وبهذا ينازع الشيطان النفس إلى حسده فإن أطاعته حتى أظهرت الحسد بقول أو فعل اختياري أو أبطنته بأن أحبت زوال نعمته فهي عاصية بحسدها إذ معصية الحسد بالقلب فحسب متعلقة بالخلق فلا يشترط في التوبة منها استحلال المحسود لأنها أمر باطن لا يطلع عليه إلا الله تعالى فمتى كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترسخ فيه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك مقت نفسك على ما في طبعها كانت تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، وحينئذ تكون قد أديت الواجب ولا يدخل تحت اختيارك غالبًا أكثر من هذا»[(١)] .

---

(١) «الزواجر» (١/١٠٣).

الوقاية من حسد الحاسدين

[١] الأذكار اليومية: فإن فيها حفظ من كل سوء بإذن الله تعالى.

[٢] كتمان النعم وكل ما يدعو إلى حسد الحاسدين : (١)

قال ابن الجوزي:

« ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه أن يظهر منها ما يبين أثرها ولا يكشف جملتها، وهذا من أعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتركها فإن العين حق وإني تفقدت النعم فرأيت إظهارها حلواً عند النفس.

فالظاهر إصابته بالعين لموضع الحسد.

إلا أنني رأيت بُعد الحسود للازم ؛فإنه في حال البلاء يتشفى وفي حال النعم يصيب بالعين، ولعمري إن المنعم عليه يشتهي غيظ حسوده. ولكنه لا يؤمن أن يخاطر بنعمته فإن الغالب إصابة الحاسد لها بالعين، فلا يساوي إلا الإلتذاذ بإظهار ما غيظ به ما أفسدت عينه بإصابتها وكتمان الأمور في كل حال على الحازم فإنه إن كشف مقدار سنه استهرموه إن كان كبيراً واحتقروه إن كان صغيراً وإن كشف ما يعتقده ناصبه الأضداد بالعداوة.

وإن كشف قدر ماله استحقروه إن كان قليلاً وحسدوه إن كان كثيراً وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... حسود محفز ومكذب

ومشي على ما ذكر ما لم أذكره.

---

(١) أما حديث: « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » هو حديث ضعيف ، ضعفه شيخنا مقبل وغيره من أهل العلم، وأما الشيخ الألباني فإنه قواه في « الصحيحة » (١٤٥٣).

ولا تكن من المذاييع الغر الذين لا يحملون أسرارهم حتى يفشوها إلى من لا يصلح.
ورب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان » [1] .

[٣] قلة مخالطة الحساد ومجالستهم ومن تخشى منه ذلك:

قال ابن الجوزي:

« العزلة عن الخلق سبب طيب العيش، ولا بد من مخالطة بمقدار قدر العدو، فربما كدك فأهلكك وأحسن إلى من أساء إليك ، واستعن على أمورك بالكتمان ولتكن الناس عندك معارف.

فأما أصدقاء فلا ! ، لأن أعز الأشياء وجود الصديق.

لأن الصديق لا يحب أن يكون في مرتبة مثله، فإن صادقته عاينًا لم تنتفع به لسوء أخلاقه وقلة علمه وأدبه.

وإن صادقت مماثلاً أو مقاربًا حسدك.

وإن كان لك يقظة تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسدك، ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

وإذا أردت تأكيد ذلك فضع عليه من يضعك عنده فلا يخرج إليه بما في قلبه.

فإن أردت العيش فابعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك فربما أصابها بالعين.

فإذا اضطررت إلى مخالطته فلا تفش له سرك ولا تشاوره ولا يغرنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدين والتعبد فإن الحسد يغلب الدين.

- وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل.
- وأن أخوة يوسف باعوه بثمن بخس.
- وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء،وعبد الله بن أبي من الرؤساء: أخرجهما حسد رسول الله ﷺ إلى النفاق وترك الصواب،ولا ينبغي أن

(١) « صيد الخاطر » (ص: ١٢٧).

تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه فإنه أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم ولولا أنه نزع لتحاسدوا ونغص عيشهم »[(١)].

وقال ابن حبان في «روضة العقلاء» (١٣٥):

لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه، لأنه ما دام مشرفًا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ونماء للحسد فيه.

فالعاقل يكون على إماتته بما قدر عليه أحرص منه على تربيته ، ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البعاد، فإن الحاسد لا يحسدك على عيب فيك ، ولا على خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء.

قال العتبي:

أفكر ما ذنبي إليك فلا أرى ... لنفسي جرمًا غير أنك حاسد

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

ليس للحاسد إلا ما حسد ... وله البغضاء من كل أحد

وأرى الوحدة خيراً للفتى ... من جليس السوء فانهض إن قعد

[٤] التجلد وعدم المبالاة بما يكيده الحاسد:

كما قال الشاعر :

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع[(٢)]

---

(١) «صيد الخاطر» (٣٨٢، ٣٨٣).

(٢) قائله : أبو ذئيب الهزلي ، انظر « جمهرة أشعار العرب » ، ص ٦٨٥ .

الفصل السادس
بين الحاسدين والمحسودين

إن الحسد قد وجد مذ خلق أبونا آدم، وجعل إبليس يطيف به فرآه أجوفًا فقال: هذا خلق لا يتمالك.

فكان بداية الحسد وبقى بعد ذلك وسيبقى إلى قرب الساعة وذلك حين نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فإنه يزول الحسد وذلك يكون مصداقًا لما أخرجه مسلم (١٥٥) (٢٤٣) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **والله لينزلن ابن مريم حكمًا عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد**».

فمن هذا يعلم أن الحسد كان ولا يزال حتى ينزل عيسى وسأنقلك الآن إن شاء الله إلى أمثلة مما مضى من ذلك.

أمثلة من الحاسدين والمحسودين:

سأذكر بمشيئة الله أمثلة على هذا وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار؛ لأنا لو أطلقنا للقلم عنانه في هذا لخرجنا بسفر ضخم في هذا مليء بقصص الحاسدين والمحسودين والمطلع على التاريخ وعلم الرجال يعلم هذا. والله المستعان.

فمن ذلك:

[١] إبليس حسد آدم عليه السلام وكانت هي أول معصية عصي الله بها، وقد تقدم الكلام على ذلك.

[٢] ابنا آدم كما قد قص الله علينا قصتهما في القرآن فأدى بالحاسد حسده إلى قتل أخيه، وقد تقدم ذكر ذلك.

[٣] حسد اليهود لنبينا ﷺ ولأتباعه من بعده.

[٤] حسد المنافقين للنبي ﷺ وقد تقدم ذكر ذلك كله [١] .

[٥] الحسد للإمام مالك:

قال ابن سعد: حدثنا الواقدي قال: لما دعي مالك وشوِّر وسمع منه وقبل قوله «حسد».

وبغوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده.

وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، هو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره، أنه لا يجوز عنده.

قال: فغضب جعفر فدعا بمالك فاحتج عليه بما دفع إليه عنه فأمر بتجريده، وضربه بالسياط وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتكب أمر عظيم فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو.

قال الذهبي في «السير» (٨١/٨) بعد هذه الحكاية:

قلت: هذا ثمرة المحنة المحمودة أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير «**ومن يرد الله به خيراً يصب منه**» [٢] ،

---

(١) وانظر أيضاً هذه الوقائع الأخرى التي سأشير لك إلى مصادرها:
أ - بين أبي الزناد وربيعة «السير» (٦ / ٩١).
ب - بين مغيرة وأبي إسحاق «السير» (٥ / ٣٩٩).
جـ - ابن إسحاق ومالك وإبراهيم والشعبي وعكرمة «السير» (٧ / ٤٠).
د - مكحول ورجاء بن حيوة «السير» (٤ / ٥٥٨).
هـ - قتادة ويحيى بن أبي كثير «السير» (٥ / ٢٧٥).
و - الإمام البخاري والنهلي «السير» (١٢ / ٤٥٣)، و«تاريخ بغداد» (٢ / ٣٠).
ز - ابن أبي الليث ويعقوب البويطي «طبقات الشافعية» (١ / ٦١).
ح - الدقاق وابن سمكويه «السير» (١٩ / ١٧).
ط - بين ابن مندة وأبي نعيم انظر «أخبار أصبهان» (٢ / ٣٠٦)، و«السير» (١٧ / ٣٤)، وانظر «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر باب «حكم قول العلماء بعضهم في بعض» (٢ / ١٠٨٧-١١١٩).

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

وقال النبي ﷺ: «**كل قضاء المؤمن خير له**» (١)، وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ** ﴾ [محمد:٣١]، وأنزل تعالى في وقعة أحد: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)** ﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)** ﴾ [الشورى:٣٠].

فالمؤمن إذا امتحن وصبر واتعظ واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم قسط ثم يحمد الله على سلامة دينه ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

[٦] حسد الحاسدين لعبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي:

قال الذهبي في «السير» (٢٢٢/٩):

قال الزبير بن بكار: كان عبد الملك نسيج وحده أدبًا ولسانًا، وشي به، وتتابعت فيه الأخبار، وكثر حاسدوه، وبلغ الرشيد عنه أنه على عزم الخروج ويقال: إنه ما حبسه إلا لما رآه ليس له نظير في السؤدد.

[٧] الحاسدون لأبي إسماعيل الهروي:

هو الإمام الكبير عبد الله بن محمد بن علي الهروي من ذرية الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

قال الذهبي: كان شيخ الإسلام أثريًا قُحًّا، صداعًا بالحق قوالاً به لا يخاف في الله لومة لائم.

قال ابن طاهر: سمعته يقول: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك لكن يقال: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت.

ولما كان الأمر هكذا فقد كاد له حساده ومخالفوه مكايد من ذلك:

قال ابن طاهر: سمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان ألب بن أرسلان «هراة» في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي

(١) قطعة من حديث عند أحمد (٥/ ٢٤).

إسماعيل وسلموا عليه ، وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطئوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغير ، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن الله تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة، فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم.

فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء، وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا ؟ .

قال: صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة.

قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألني السلطان، قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وأنك تقول: إن الله على صورته.

فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: « سبحانك هذا بهتان عظيم » .

فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً.

وقال لهم: اصدقوني وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا.

فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم، وأخذ منهم وأهانهم[(١)] .

مكيدة أخرى:

قال ابن طاهر: حكى لي أصحابنا أن السلطان ألب بن أرسلان قدم « هراة » ومعه وزيره نظام الملك فاجتمع إليه أئمة الحنفية وأئمة الشافعية للشكوى من الأنصاري ومطالبته بالمناظرة فاستدعاه الوزير فلما حضر قال: إن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك وإن يكن الحق معهم

(١) « تذكرة الحفاظ » (٣/ ١١٨٨، ١١٨٩)، و« السير » (١٨/ ٥١٢).

رجعت أو تسكت عنهم فوثب الأنصاري وقال:

أناظر على ما في كمي قال: وما في كمك؟ ، قال: كتاب الله وأشار إلى كمه اليمين وسُنَّة رسول الله وأشار إلى كمه اليسار وكان فيه الصحيحان، فنظر الوزير إليهم مستفهمًا لهم فلم يكن فيهم من ناظره من هذا الطريق (١) .

مكيـــدة أخـــرى:

قال ابن طاهر: وسمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول: حضرت مع الشيخ للسلام على نظام الملك وكان أصحابنا كلفوه الخروج إليه ـ وذلك بعد المحنة ورجوعه إلى وطنه من «بلخ» ـ يعني أنه كان قد غرب ـ قال: فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان هناك أئمة من الفريقين فاتفقوا على أن يسألوه بين يدي الوزير.

فإن أجاب بما يجيب به «بهراة» سقط من عين الوزير وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه.

فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي يعرف بالعلوي الديوسي فقال: يأذن الشيخ الإمام في أن أسأله مسألة؟ فقال: سل، فقال: لم تلعن أبا الحسن الأشعري؟ قال: لا أعرف الأشعري، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء وأن القرآن في المصحف وأن النبي اليوم نبي ، ثم قام وانصرف، فلم يمكن أحد أن يتكلم من هيبته وصلابته وصولته.

فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم؟ ، كنا نسمع أنه يذكر هذا «بهراة» فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا وما عسى أن أفعل به ، ثم بعث خلفه خلعًا وصلة فلم يقبلها (٢) .

وله محن ليس هذا موضع طرحها تراجعها إن شئت في ترجمة هذا الإمام.

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٨٧)، و«السير» (١٨/ ٥١٠، ٥١١).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٨٧، ١١٨٨)، «السير» (١٨/ ٥١٢)، «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٥٤، ٥٥).

[٨] حسد منصور بن يحيى الطوسي لتلامذة ابن خزيمة وشيخهم:

قال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن حمدون وجماعة من مشايخنا ـ إلا ابن حمدون ـ كان من أعرفهم بهذه الواقعة، قال: «لما بلغ أبو بكر بن خزيمة من السِّنِّ والرئاسة والتفرد بهما ما بلغ ـ كان له أصحاب صاروا في حياته أنجم الدنيا مثل:

■ أبي علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي: وهو أول من حمل علوم الشافعي ودقائق ابن سريج إلى خراسان.

■ ومثل: أبي بكر أحمد بن إسحاق ـ يعني: الصبغي، خليفة ابن خزيمة في الفتوى، وأحسن الجماعة تصنيفًا وأحسنهم سياسة في مجالس السلاطين.

■ وأبي بكر بن أبي عثمان، وهو آدبهم، وأكثرهم جمعًا للعلوم وأكثرهم رحلة، وشيخ المطوعة والمجاهدين.

■ وأبي محمد يحيى بن منصور، وكان من أكابر البيوتات وأعرفهم بمذهب ابن خزيمة وأصلحهم للقضاء.

قال: فلما ورد منصور بن يحيى الطوسي «نيسابور»، وكان يكثر الاختلاف لابن خزيمة للسماع منه، وهو معتزلي وعاين ما عين من الأربعة الذين سميناهم حسدهم.

واجتمع مع أبي عبد الرحمن الواعظ القدري بباب معمر في أمورهم غير مرة فقال: هذا إمام لا يسرع في الكلام، وينهى أصحابه عن التنازع في الكلام وتعليمه، وقد نبغ له أصحاب يخالفونه وهو لا يدري، فإنهم على مذهب الكلابية، فاستحكم طمعهم في إيقاع الوحشة بين هؤلاء الأئمة.

قال الحاكم: وحدثني عبد الله بن إسحاق الأنماطي المتكلم قال: لم يزل الطوسي بأبي بكر بن خزيمة حتى جرأه على أصحابه، وكان أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر بن أبي عثمان يردان على أبي بكر ما يمليه، ويحضران مجالس أبي علي

الثقفي فيقرءون ذلك على الملأ حتى استحكمت الوحشة.

سمعت أبا سعد عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال: «شيء منه مخلوق» أو يقول: «إن القرآن محدث» فهو جهمي.

ومن نظر في كتبي بان له أن الكلابية ـ لعنهم الله ـ كذبة فيما يحكون عني بما هو خلاف أصل ديانتي، وقد عرف أهل الشرق والغرب أنه لم يصنف في التوحيد والقدر وأصول العلم مثل تصنيفي وقد صح عندي أن هؤلاء ـ «الثقفي، والصبغي، ويحيى بن منصور» ـ كذبة قد كذبوا علي في حياتي فمحرم على كل مقتبس علم أن يقبل منهم شيئًا يحكونه عني.

وابن أبي عثمان أكذبهم عندي، وأقولهم علي ما لم أقله.

قال الذهبي: ما هؤلاء بكذبة، بل أئمة أثبات وإنما الشيخ تكلم على حسبما نقل له عنهم، فقبح الله من ينقل البهتان، ومن يمشي بالنميمة.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق يقول: لما وقع من أمرنا ما وقع وجد أبو عبد الرحمن ومنصور الطوسي الفرصة في تقرير مذهبهم.

واغتنم أبو القاسم وأبو بكر بن علي والبردعي السعي في فساد الحال.

انتصب أبو عمرو الحيري للتوسط فيما بين الجماعة، وقود لأبي بكر بن خزيمة اعترافنا له بالتقدم وبين له غرض المخالفين في فساد الحال إلى أن وافقه على أن يجتمع عنده فدخلت أنا وأبو علي وأبو بكر بن أبي عثمان فقال له أبو علي الثقفي: ما الذي أنكرت أيها الأستاذ من مذاهبنا حتى نرجع عنه؟.

قال: ميلكم إلى مذهب الكلابية فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد بن كلاب وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره.

حتى طال الخطاب بينه وبين أبي علي في هذا الباب فقلت: قد جمعت أنا

أصول مذهبنا في طبق فأخرجت إليه الطبق، فأخذه وما زال يتأمله وينظر فيه ثم قال: لست أرى ها هنا شيئًا أقول به فسألته أن يكتب عليه خطه أن ذلك مذهبه فكتب آخر تلك الأحرف.

فقلت لأبي عمرو الحيري: احتفظ أنت بهذا الخط حتى ينقطع الكلام، ولا يتهم واحد منا بالزيادة فيه ثم تفرقنا.

فما كان بأسرع من أن قصده أبو فلان وفلان وقالا: إن الأستاذ لم يتأمل ما كتب في ذلك الخط وقد غدروا بك وغيروا صورة الحال فقيل منهم فبعث إلى أبي عمرو الحيري لاسترجاع خطه منه فامتنع عليه أبو عمرو ولم يرد حتى مات ابن خزيمة وقد أوصيت أن يدفن معي فأحاجه بين يدي الله تعالى فيه»(١).

[٩] حسد الحاسدين لأبي طالب عبد السلام بن الحسين المأموني من ذرية المأمون الخليفة العباسي:

قال ابن النجار:

«كان بديع النظم مدح الملوك والوزراء، وامتدح الصاحب بن عباد فأكرمه فحسده ندماء الصاحب وشعراؤه، فرموه بالباطل، وقالوا: إنه دعيٌّ، وقالوا فيه: ناصبي، ورموه بأنه هجا الصاحب فذلك يقول ليسافر:

يا ربع لو كنت دمعًا فيك منسكبًا ... قضيت نحبي، ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرن ربعك البالي بلا جسدي ... فقد شربت بكأس الحب ما شربا
عهدي بربعك للذات مرتبعًا ... فقد غدا لفؤادي السحب منتحبا
ذو بارق كسيوف الصاحب انتصبت ... ووايل كعطاياه إذا وهبا
وعصية قال فيها القيظ متقدًا ... إذ شدت لي فوق أعناق الورا رتبا
إني كيوسف والأسباط هم وأبو الأ ... سباط أنت ودعواهم دمًا كذبا
قد ينج الكلب ما لم يلق ليثًا شري ... حتى إذا ما رأى ليثًا مضى هربا

---
(١) «السير» (١٤/ ٣٧٧-٣٨١).

قال الثعالبي: «ففارق الري»، ووفد «نيسابور» ومدح صاحب الجيش فوصله وقدم «بخارى »فأكرم بها عاشرت منه فضلاً ملء ثوبه، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ويمني نفسه في قصد بغداد في جيوش تنظم إليه من «خراسان» فاقتطعته المنية ، ومرض بالاستسقاء» [(١)] .

[١٠] حسد يحيى بن خالد البرمكي لمحمد بن الليث:

قال الذهبي في «السير» (٦٤/٩): قيل: إن ثمامة قال: أول ما أنكر يحيى بن خالد ـ يعني البرمكي ـ من أمره ـ يعني من الرشيد ـ أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها: «إن يحيى لا يغني عنك من الله شيئًا».

فأوقف الرشيد يحيى على الرسالة وقال: أتعرف محمد بن الليث؟ قال: نعم هو متهم على الإسلام، فسجنه، فلما نكبت البرامكة أحضره وقال: أتحبني؟ قال: لا والله، قال: أتقول هذا؟ قال: نعم، وضعت في رجلي القيد وحلت بيني وبين عيالي بلا ذنب سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله ويحب الإلحاد وأهله.

فأطلقه وقال: أتحبني؟ ، قال: لا ولا أبغضك فأمر له بمائة ألف وقال: أتحبني؟ قال: نعم، قال: انتقم الله ممن ظلمك فقال الناس في البرامكة وكثروا [(٢)] .

[١١] حسد الحاسدين لبقي بن مخلد:

وقال أبو الوليد بن الفوضي في «تاريخه» [(٣)] :

ملأ بقي بن مخلد الأندلس حديثًا فأنكر عليه أصحابه الأندلسيون أحمد بن خالد ومحمد بن الحارث وأبوزيد ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث، فأغروا به السلطان وأخافوه به ثم إن الله أظهره عليهم، وعصمه منهم فنشر حديثه وقرأ للناس روايته ثم تلاه ابن وضاح فصارت الأندلس دار حديث وإسناد مما انفرد به ولم يدخله سواه «مصنف أبي بكر بن أبي شيبة» بتمامه

(١) انظر «السير» (١٦/ ٥٠١، ٥٠٢).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» (٨/ ٢٨٨).

(٣) كما في «السير» (١٣/ ٢٨٧)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٠).

و« كتاب الفقه » للشافعي بكماله ـ يعني الأم ـ و« تاريخ خليفة » و« طبقات خليفة » وكتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » لأحمد بن إبراهيم الدورقي . . . وليس لأحد مثل مسنده وكان ورعًا فاضلاً زاهداً . . . قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير شيء .

[١٢] حسدهم لأبي القاسم البغوي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز:

قال أبو يعلى الخليلي:

أبو القاسم البغوي من العلماء المعمرين سمع داود بن رشيد، والحكم بن موسى . . .

وعنده مائة شيخ لم يشاركه أحد فيهم، في آخر عمره لم ينزل إلى الشيوخ .

قال : وهو حافظ عارف صنف مسند عمه علي بن عبد العزيز وقد حسدوه في آخر عمره فتكلموا فيه بشيء لا يقدح فيه .

وقد سمعت عبد الرحمن بن محمد يقول : سمعت أبا أحمد الحاكم سمعت البغوي يقول : ورَّقْتُ لألف شيخ .

وقال أحمد بن علي السليماني الحافظ : البغوي يتهم بسرقة الحديث .اهـ.

قال الذهبي في «السير» (٤٥٥/١٤):

قلت : هذا القول مردود، وما يتهم أبا القاسم أحدٌ يدري ما يقول : بل هو ثقة مطلقًا .

[١٣] حقد المأمون على أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى ابن مسهر:

قال الذهبي في «السير» (٢٢٣/١٠):

قال علي بن عثمان النفيلي : كنا على باب أبي مسهر جماعة من أصحاب الحديث فمرض فعدناه وقلنا : كيف أصبحت؟ ، قال : في عافية، راضيًا عن الله

ساخطًا على ذي القرنين كيف لم يجعل سدًّا بيننا وبين أهل العراق كما جعله بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج؟! .

فما كان بعد هذا إلا يسيراً حتى وافى المأمون دمشق، ونزل «بدير مران»، وبنى القبة فوق الجبل فكان بالليل يأمر بجمرٍ عظيم فيوقد ويجعل في طسوت كبار تدلى من عند القبيبة بسلاسل وحبال فتضيء لها الغوطة فيبصرها بالليل.

وكان لأبي مسهر حلقة في الجامع بين العشاءين عند الحائط الشرقي، فبينا هو ليلة إذ قد دخل الجامع ضوء عظيم فقال أبو مسهر: ما هذا؟ .

قالوا: النار التي تدلى من الجبل لأمير المؤمنين حتى تضيء له الغوطة فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ [الشعراء:١٢٨، ١٢٩] وكان في الحلقة صاحب خبر للمأمون فرفع ذلك للمأمون فحقدها عليه وكان قد بلغه أيضًا أنه على قضاء أبي العميطر، فلما رحل المأمون أمر بحمل أبي مسهر فامتحنه في الرفة في القرآن (١) .

قال الذهبي: قد كان المأمون بأسًا، وبلاءً على الإسلام.

[١٤] بعض ما وقع للإمام أحمد - رحمه الله -:

هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقًا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي.

محنته مشهورة مزبورة مذكورة في كتب التواريخ والسير والتراجم علمها كثير من المسلمين وحفظ الله به الإسلام في تلك المحنة وهي القول بخلق القرآن ومعلوم لدى كل ذي لب أنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ بلا كيفية قولاً ، ولكن وقعت الفتنة على الإمام أحمد في أيام المأمون ، وكان قد دعا الناس إلى القول بخلق القرآن ومن وراء ذلك فرقة الشر والوبال «المعتزلة» قبحهم الله ومن اعتقد

(١) أهو مخلوق أو كلام الله ؟ ، وأجاب أبو مسهر على تردد. انظر «تاريخ بغداد» (١١ / ٧٢، ٧٣).

اعتقادهم وعلى رأس أولئك ابن أبي دؤاد.

فامتنع أن يقول هذا القول فحرض ابن أبي دؤاد وغيره المأمون على الإمام أحمد حتى سجنه وضربه أشد ضرب وكنت أسمع منذ صغري وعوام بلدي يقولون: ضرب فلان فلانًا ضربًا حنبليًّا ويقال: «جلد حنبلي».

ولم أعرف معنى هذا إلا بعد أن عرفت السُّنَّة وعلمت هذه المسألة، والشاهد أن الحسد فيما يظهر لي لا يخلو منها فالإمام أحمد كان إمام عصره وفريد زمانه في خصال شتى وكان على استقامة مرضية، والكلام عن هذه المحنة يطول، يراجع لذلك «السير» (١١ / ٢٣٢) وما بعدها. و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«البداية والنهاية» لابن كثير وغيرها من المصادر الكثيرة التي تكلمت عن هذا.

[١٥] حسدهم لأبي عبد الله بن أبي كدية:

ابن أبي كدية هو: محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله [١] .

قال الذهبي: الأصولي شيخ القراء.

قال ابن عقيل: هو شيخ هش حسن العارضة جاري العبارة حفظه متدين تذاكرنا فرأيته مملوءًا علمًا وحفظًا.

وجـــه الحسد:

قال أحمد بن شافع قال ابن ناصر وجماعة:

كان أصحاب القيرواني يشهدون عليه: أنه لا يصلي، ولا يغتسل من جنابة في أكثر أحواله ويرمى بالفسق مع المرد، واشتهر بذلك وادعى قراءة القرآن على ابن النفيس.

قال الذهبي بعد إيراده لهذا: هذا كلام بهوى.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٩ / ٤١٧).

قلت: إنه الحسد يجعل الحاسد لا يدري ما يخرج من رأسه أهم شيء أن يوقع بالمحسود الضرر، نسأل الله السلامة.

[١٦] حسد الحسين بن علي الدمشقي:

الخطيب هو: أحمد بن علي بن ثابت حافظ ناقد مفتي أوحد عصره لم يكن بعد الدارقطني مثله.

قال محمد بن طاهر: حدثني مكي بن عبد السلام قال: كان سبب خروج الخطيب من «دمشق» إلى «صور» أنه كان يختلف إليه صبي مليح فتكلم الناس في ذلك.

وكان أمير البلد رافضيًّا متعصبًا فبلغته القصة فجعل ذلك سببًا إلى الفتك به فأمر صاحب شرطته أن يأخذ الخطيب بالليل فيقتله.

وكان صاحب الشرطة سيئًّا فقصده تلك الليلة في جماعة ولم يمكنه أن يخالف الأمير فأخذه، وقال: قد أمرت فيك بكذا ولا أجد لك حيلة إلا أني أعبر بك عند دار الشريف بن أبي الجن فإذا حاذيت الدار اقفز وادخل دار الشريف، فأرسل الأمير إلى الشريف أن يبعث به فقال: أيها الأمير أنت تعرف اعتقادي فيه وفي أمثاله وليس في قتله مصلحة هذا مشهور بالعراق إن قتلته قتل جماعة من الشيعة وخربت المساجد، قال: فما ترى؟، قال: أرى أن ينزح من بلدك فأمر بإخراجه فراح إلى «صور» وبقي بها مدة [(١)].

قال أبو القاسم بن عساكر: سعي بالخطيب حسين بن علي الدمشقي إلى أمير الجيش فقال: هو ناصبي يروي فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع.

[١٧] وشاة الحاسدين بابن رشد صاحب «بداية المجتهد»:

ابن رشد هو: محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، علامة وقته.

---

(١) انظر «السير» (١٨ / ٢٨١، ٢٨٢) و«تاريخ ابن عساكر».

قال الأبار: لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلمًا وفضلاً متواضعًا منخفض الجناح.

يقال عنه: إنه ما ترك الاشتغال مذ عقل سوى ليلتين ليلة موت أبيه وليلة عرسه.

قال شيخ الشيوخ ابن حمويه: لما دخلت البلاد سألت عن ابن رشد، فقيل: إنه مهجور في بيته من جهة الخليفة يعقوب لا يدخل إليه أحد، لأنه رفعت عنه أقوال ردية ونسبت إليه العلوم المهجورة، ومات محبوسًا بداره «بمراكش» في أواخر سنة أربع [(١)] . يعني: أربع وتسعين وخمسمائة، وقيل: خمس.

[١٨] الحاسدون لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي صاحب «العمدة»:

هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي أبو محمد الجماعيلي الحنبلي عالم حافظ قدوة أثري متبع ابتلي وأوذي لصلابته في الحق وصدقه.

قال الحافظ الضياء:

كان الحافظ عبد الغني يقرأ الحديث «بدمشق» ويجتمع عليه الخلق فوقع الحسد، فشرعوا وعملوا لهم وقتًا لقراءة الحديث وجمعوا الناس فكان هذا ينام وهذا بلا قلب فما اشتفوا، فأمروا الناصح ابن الحنبلي بأن يعظ تحت النسر ـ من جامع «دمشق» ـ يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ.

فأول ذلك أن الناصح والحافظ أرادا أن يختلفا الوقت فاتفقا أن الناصح يجلس بعد الصلاة وأن يجلس الحافظ العصر.

فدسوا إلى الناصح رجلاً ناقصًا ناقص العقل من بني عساكر فقال للناصح في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر فضرب وهرب فتمت مكيدتهم، ومشوا إلى الوالي وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفتنة واعتقادهم يخالف اعتقادنا ونحو هذا ثم جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة إلى الوالي وقالوا:

---

(١) «السير» (٢١/ ٣٠٨، ٣٠٩).

نشتهي أن تحضر عبد الغني فانحدر إلى المدينة خالي الموفق وأخي الشمس البخاري وجماعة. وقالوا :نحن نناظرهم.

وقالوا للحافظ: لا تجيء فإنك حاد نحن نكفيك فاتفق أنهم أخذوا الحافظ وحده، ولم يدر أصحابنا فناظروه واحتدوا وكانوا قد كتبوا شيئًا من الاعتقاد، وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له: اكتب خطك فأبى، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم، واستأذنوه في رفع منبره فبعث الأسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودلابزين وقالوا: نريد ألا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية وكسروا منبر الحافظ.

ومنعونا من الصلاة ففاتتنا صلاة الظهر ثم إن الناصح جمع البَنَوية وغيرهم وقالوا: إن لم يخلونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم فبلغ ذلك القاضي ـ وكان صاحب الفتنة ـ فأذن لهم، وحمى الحنفية بمقصورتهم بأجناد ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى «بعلبك» فأقام بها مدة فقال له أهلها: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك فقال: لا، وتوجه إلى مصر فبقي «بنابلس» مدة يقرأ الحديث، وكنت أنا بمصر، فجاء شاب من «دمشق» بفتاوى إلى صاحب مصر الملك العزيز ومعه كتب أن الحنابلة يقولون: كذا وكذا مما يشقون به عليهم.

فقال ـ وكان يتحيَّد ـ: إذا أصبحنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة فاتفق أنه عدا به الفرس فشب به فسقط فخسف صدره، كذلك حدثني يوسف ابن الطفيل شيخنا وهو الذي غسله.

فأقيم ابنه صبي فجاء الأفضل من صَرْخَد وأخذ «مصر» وعسكر وكر إلى «دمشق»، فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق فأكرمه إكرامًا كثيراً.

ونفذ يوصي به « بمصر» فتلقى الحافظ بالإكرام.

وأقام بها يسمع الحديث بمواضع وكان بها كثير من المخالفين.

وحصر الأفضل «دمشق» حصاراً شديداً ثم رجع إلى «مصر» فصار العادل عمه خلفه فتملك «مصر» وأقام.

وكثر المخالفون على الحافظ «بمصر»، وهم ينالون منه حتى عزم الملك الكامل على إخراجه [وكان أشعريًّا جلداً]، واعتقل في دار أسبوعًا.

فسمعت أبا موسى يقول سمعت أبي يقول: ما وجدت راحة في «مصر» مثل تلك الليالي.

قال: وكانت امرأة في دار إلى جانب تلك الدار فسمعتها تبكي وتقول: «بالسر الذي أودعته قلب موسى حتى قوي على حمل كلامك».

قال: فدعوت به فخلصت تلك الليلة.

سمعت أحمد بن محمد بن عبد الغني، حدثني الشجاع بن أبي زكريا الأمير قال: قال لي الملك الكامل يومًا ها هنا فقيه قالوا: إنه كافر. قلت: لا أعرفه قال: بلى هو محدث، قلت: لعله الحافظ عبد الغني. قال: هذا هو. فقلت: أيها الأمير العلماء أحدهم يطلب الآخرة وآخر يطلب الدنيا، وأنت هنا باب الدنيا فهذا الرجل جاء إليك أو تشفع يطلب شيئًا. قال: لا. فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني.

ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به، فطلبني فجئت وإذا عنده شيخ الشيوخ ابن حمويه، وعز الدين الزبخاري.

فقال لي السلطان: نحن في أمر الحافظ فقال: أيها الملك القوم يحسدونه وهذا الشيخ بيننا ـ يعني شيخ الشيوخ ـ وحلفته هل سمعت من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام؟

فقال: لا والله وما سمعت عنه إلا كل جميل، وتكلم ابن الزبخاري فمدح الحافظ كثيراً، وتلامذته وقال: أنا أعرفهم، ما رأيت مثلهم.

فقلت: وأنا أقول شيئًا آخر لا يصل إليه مكروه حتى يقتل من الأكراد ثلاثة ألاف قال: فقال: لا يؤذى الحافظ فقلت: اكتب خطك بذلك فكتب.

وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده فكتب: أقول كذا، وأقول كذا لقول الله كذا ولقول النبي ﷺ كذا حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها فلما رآها الكامل قال: ايش أقول في هذا يقول بقول الله وقول رسوله ﷺ؟ .

قال الذهبي: وذكر أبو المظفر الواعظ في «مرآة الزمان» قال: كان الحافظ عبد الغني يقرأ الحديث بعد الجمعة قال: فاجتمع القاضي محي الدين والخطيب ضياء الدين وجماعة فصعدوا إلى القلعة وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه فعقدوا له مجلسًا فناظرهم فأخذوا عليه مواضع منها قوله: لا أنزهه تنزيهًا ينفي حقيقة النزول.

ومنها: «كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان».

ومنها: مسألة الحرف والصوت فقالوا: إذًا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فلم يصح عن إمامك - يعني أحمد بن حنبل - وإنما قال: إنه كلام الله يعني غير مخلوق، وارتفعت الأصوات فقال والي القلعة الصارم برغش كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم فأمر بكسر منبره.

قال: وخرج الحافظ إلى «بعلبك» ثم سافر إلى «مصر» إلى أن قال: فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب فمات الحافظ قبل وصول الكتاب»(١) .

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٥٩-٤٦٣).

[١٩] الحاسدون لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية عليه -رحمه الله تعالى-:

شيخ الإسلام هو: الإمام الرباني إِمام الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم وسيد الحفاظ وفارس المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر علامة الزمان وترجمان القرآن علم الزهاد وأوحد العباد قامع المبتدعين وإِمام المجتهدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام أبي البركات الحراني نزيل دمشق(١) .

قال ابن سيد الناس بعد أن ذكر أبا الحجاج المزي:

وبعد الذي هداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فألفيته ممن أدرك العلوم خطًّا وكاد يستوعب السُنن والآثار حفظًا.

- إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته.
- أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته.
- أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو رايته.
- أو ذاكر بالنِّحل والملل لم يُر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته برز في كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويرون من بحر علومه العذب النمير، ويرتقون من ربيع فضله في روضة وغدير إلى أن دب إليه من أهل بلاده داء الحسد وأكب أهل النظر منهم على ما ينقد عليه من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلامًا أوسموه بسببه ملامًا وفوقوا لتبديعه سهامًا وزعموا أنه خالف طريقهم وفرق فريقهم فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون إلى الفقر إلى طريقه ، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق وذكر لها على ما زعم - بوائق

(١) «طبقات علماء الحديث» (٤ / ٢٧٩، ٢٨٠) لابن عبد الهادي.

فاضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه واستعانت بذوي الظعن عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمراء أمره وأعمل منهم في كفره فكره، فوثبوا محاضر، وألَّبوا الرويبضة (١) للسعي بها بين الأكابر وسعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوماً من عمار الزوايا وسكان المدارس من مجامل في المنازعة مخاتل في المخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة يسومونه ريب المنون ﴿ **وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** (٦٩) ﴾ [القصص:٦٩].

وليس المجاهر كفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دبت إليه عقارب مكره فرد الله كيد كلٍّ في نحره ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره.

ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة إلى أن فوض أمره لبعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق وانتابها المسلمون من كل فج عميق يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون بشرجعه (٢) ، حتى كسروا تلك الأعواد (٣) اهـ.

توفي رحمه الله ليلة الإثنين (٢٠/ذي القعدة ٧٢٨هـ) وما أوذي به شيخ الإسلام كثيرٌ جداًّ يراجع لذلك كتاب «العقود الدرية» لابن عبد الهادي رحمهما الله جميعاً.

[٢٠] الحاسدون لابن دقيق العيد وكتابه «الإمام»:

ابن دقيق العيد هو: علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح القشيري إمام مجتهد ومحدث فقيه أصولي علامة، برز في فنون كثيرة ومن قرأ كتبه علم ذلك.

---

(١) الرجل التافه «اللسان» مادة «ربض».

(٢) هو السرير الذي تحمل عليه الجنازة «اللسان» مادة «شرجع».

(٣) «طبقات علماء الحديث» (٤/ ٢٩٠، ٢٩١).

فمن المكايد التي حصلت لهذا الإمام ما ذكره الأسنوي في «طبقات الشافعية» (٢ / ٢٢٩) حيث قال : «وكان ـ رحمه الله ـ قد أكمل كتابه الكبير العظيم الشأن المسمى بـ«الإمام» بهمزة مكسورة بعدها ميم، هو الذي استخرج منه كتابه المختصر المسمى بـ «الإلمام» بزيادة اللام ـ فحسده عليه بعض كبار هذا الشأن ممن في نفسه منه عداوة فدس من سرق أكثر هذه الأجزاء وأعدمها وبقي منه الموجود عند الناس اليوم وهو نحو أربعة أجزاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله كذا سمعته من الشيخ شمس الدين ابن عدلان ـ رحمه الله ـ وكان عارفًا بحاله» .

[٢١] حسد اليهودي للمسلمين في إمامة المازري:

المازري هو: الإمام العلامة البحر المتفتن أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر ابن محمد التميمي المازري المالكي .

ذكر الذهبي : أنه مرض مرضة فلم يجد من يعالجه إلا يهودي فلما عوفي على يده قال : لولا التزامي بحفظ صناعتي لأعدمتك المسلمين .

فأثر هذا عند المازري فأقبل على تعلُّم الطب حتى فاق فيه وكان ممن يفتي فيه كما يفتي في الفقه (١) .

حسد علي بن يوسف بن تاشفين على ابن العريف:

ابن العريف هو: الإمام الزاهد العارف أبو العباس أحمد بن موسى الصنهاجي .

كان الناس قد ازدحموا عليه يسمعون كلامه ومواعظه فخاف ابن تاشفين سلطان الوقت من ظهوره وظن أنه من أنموذج ابن تومرت فيقال : إنه قتله سرًّا فسقاه . . . ، والله أعلم (٢) .

قال ابن مسدي: ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد وشرقت به جماعة الحساد حتى سعوا به إلى سلطان عصره

(١) «السير» (٢٠ / ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٢) «السير» (٢٠ / ١١٢ ، ١١٣) .

وخوفوه من عاقبة أمره لاشتمال القلوب عليه وانضواء الغرباء إليه فغرب إلى مراكش فيقال: إنه سُمَّ، وتوفي شهيداً.

وكان لما احتمل إلى مراكش استوحش ففرق في البحر جميع مؤلفاته فلم يبق منها إلا ما كتبت منها عنه.

قال ابن بشكوال: احتفل الناس بجنازته وندم السلطان على ما كان منه في جانبه فظهر له كرامات رحمه الله (١).

[٢٢] الحسد لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الخرساني:

قال الذهبي في «السير» (١٨/٢٣١):

قال عبد الغفار بن إسماعيل: «ومن جملة أحوال أبي القاسم ما خص به من المحنة في الدين، وظهور التعصب بين الفريقين في عشر سنين أربعين وأربعمائة إلى سنة خمس وخمسين، وميل بعض الولاة إلى الأهواء وسعي بعض الرؤساء إليه بالتخليط، حتى أدى ذلك إلى رفع المجالس، وتفرق شمل الأصحاب، وكان هو المقصود من بينهم حسداً، حتى اضطر إلى مفارقة الوطن، وامتد في أثناء ذلك إلى بغداد، فورد على القائم بأمر الله، ولقي قبولاً وعقد له المجلس في مجالسه المختصة به، وكان ذلك بمحضر ومرأى منه، وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه فعاد إلى «نيسابور»، وكان يختلف منها إلى «طوس» بأهله حتى طلع صبح الدولة البارسلانيَّة فبقي عشر سنين محترمًا معظمًا» (٢).

ومن نظمه:

بقي وقت كنت أخلو بوجهكم	ونفر الهوى في روضة الأنس ضاحك
أقمت زمانًا والعيون قريرة	وأصبحت يومًا والجفون سوافك

(١) «السير» (٢٠/١١٣، ١١٤).

(٢) وانظر «تبين كذب المفتري» (ص٢٧٤، ٢٧٥) و«طبقات الشافعية» للسبكي (٥/١٥٧، ١٥٨).

[٢٣] حسدهم للإمام محمد بن إبراهيم الوزير:

هو: الإمام إمام أئمة الاجتهاد من دون منازع مجدد زمانه وحامل لواء محاربة التقليد من دون لين ولا هوادة إمام في علم القرآن والسُّنَّة والعربية والفقه فريد عصره ونادرة من نوادر دهره محمد بن إبراهيم بن علي ، يصل نسبه إلى الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (١) .

قال الشوكاني عنه : «لو قلت : إن اليمن لم تنجب مثله لم أبعد عن الصواب» .

فهذا العلم ما إن تمكن من معرفة علوم الاجتهاد علمًا علمًا وصار مبرزًا فيها كلها حتى تأكد له أنها لا تكفي وحدها لنيل سعادة الدارين الأولى والأخرى وأنه لا بد لمن يريد أن ينال هذه السعادة أن يتجه إلى علوم القرآن المجيد ، والسُّنَّة النبوية التي هي أولى بالاهتمام وأجدر بالاتباع فتحول إليها بتوفيق من الله وهدايته وهو ما أشار إلى ذلك بقوله: فرجعت إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وقلت: لا بد أن تكون فيهما براهين وردود على مخالفي الإسلام، وتعليم وإرشاد لمن اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام ، فتدبرت ذلك فوجدت الشفاء كله دقِّه وجله وانشرح صدري وصلُح أمري وزال ما كنت به من مبتلى ، وقد بلغ من معرفته السُّنَّة وعلومها ما جعله أبرز علمائها على الإطلاق فتحول عن مذهبه الزيدي، الذي نشأ عليه وترعرع إلى إيثار العمل بأدلة الكتاب وصحيح السُّنَّة نابذًا التقليد وراء ظهره وداعيًا غيره إلى إطراح أقوال الرجال التي ليس عليها أثاره من علم والرجوع إلى مصدر الهداية الربانية كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، فما كان من علماء عصره المقلدين ـ ولاسيما ـ شيخه علي بن محمد بن أبي القاسم إلا أن ناصبوه العداء وأشهروا عليه القدح والتجريح كما وصف ذلك في قوله: «هذا وإني لما تمسّكت بعروة السنن الوثيقة وسلكت سُنن الطريقة العتيقة تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السُّنَّة النبوية ونسبوني إلى دعوى في العلم

(١) انظر «البدر الطالع» (٢ / ٨١) و«هجر العلم ومعاقله» (ص١٣٦٧) .

كبيرة وأمور غير ذلك كثيرة حرصًا على أن لا يتبع ما دعوت إليه بسند سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا.

مــــا سلـم الله مـن بـريتـــــه ولا نـبي الـهـــدى فـــيكف أنا

وقد اعترض عليه شيخه علي بن محمد بن أبي القاسم لما ورد في قصيدته الدالية التي أولها:

ظلت عــواذله تـروح وتفــتــدي وتـريد تعنيف المحب وتبــتــدي

لما جاء فيها بمثل قوله:

ديني كـأهل البـيت دينًا قـيـمًـا مـتنزهًا عن كل مـعـتـقـد ردي

بينما هو في واقع الحال مخالف عملاً لما في هذا البيت فهو في اعتقاد شيخه قد خالف (أهل البيت) في كثير من المعتقدات ، كما خالفهم أيضًا في مسائل فرعية وقد تصدى للدفاع عنه أخوه الهادي:

« ولم يقتنع علي بن محمد بن أبي القاسم بما أورده الهادي من حجج مقنعة في الدفاع عن أخيه بل أصر على موقفه المتشدد من تلميذه محمد بن إبراهيم الوزير لزعمه أنه في اعتقاده قد اقترف بتحوله من مذهبه إلى علوم السُّنَّة ذنبًا لا يغفر مع أنه كان يثني عليه من قبل ثناءً عاطرًا وينصح طلبة العلم فيمن فيهم ابنه بأن يأخذوا العلم عنه ،ولكنه تغير تغيرًا عجيبًا وتحول من مادح إلى قادح مما حمل تلميذه المذكور على أن يخاطبه بهذه الأبيات:

عــــرفت قـــدري ثم أنكـرتـه فــــمــــا عـــــد الله مما بـدا
فـي كل يـوم لـي بـك مـــــوقف أسـرفـت بالقـول بسـوء البـدا
أمس الثناء واليــوم ســوء الأذى يا ليت شعري كيف تضحى غدا
يـا شـيـبـة العـتـرة في وقـتـه ومنصب التــعليم والاقــتــدا
قـــد خلع العلم رداء الهـــدى علـيـك والشـــيـب رداء الردى
فــصن رداءيك وطهــرهمـــا عـن دنس الإســراف والاعــتــدا

ولكن هذا العتب الجميل لم يغير موقف شيخه نحوه في قليل ولا كثير وظلَّ معاديًا له ولم يكتف بهذا فحسب بل حبَّر إليه رسالة سنة ٨٠٨هـ أفرغ فيها ما شاء فيها هواه فانتقده نقداً مريراً وجرحه وتناول أئمة الإسلام بالقدح والذم فما كان من محمد بن إبراهيم الوزير إلا أن شمر عن ساعديه وكتب مؤلفه العظيم: «العواصم والقواصم في الذب عن سُنَّة أبي القاسم».

[٢٤] المحن التي وقعت لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني بسبب الحسادين له وللسُنة:

هو: الإمام الكبير المجتهد المطلق العامل بالكتاب والسُّنَّة بيِّن طهور المنيعة المصنف العلامة: محمد بن إسماعيل بن صلاح، يصل نسبه إلى الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم.

قال الشوكاني في «البدر الطالع» (١٣٣/٢-١٣٧):

«جرت له مع أهل عصره خطوب ومحن منها في أيام المتوكل على الله القاسم ابن الحسين ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم ثم في أيام ولد الإمام المهدي العباس بن الحسين وتجمّع العوام لقتله مرة بعد أخرى وحفظه الله من مكرهم وكيدهم وكفاه شرهم، وولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع «صنعاء» فاستمر كذلك إلى أيام ولده الإمام المهدي».

واتفق في بعض الجمع أنه لم يذكر الأئمة الذين جرت العادة بذكرهم في الخطبة الأخرى فثار عليه جماعة من آل الإمام الذين لا أنه لهم بالعلم وعضدهم جماعة من العوام وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة وكان من أعظم المحشدين لذلك السيد يوسف العجمي الإمامي القادم في أيام الإمام المنصور بالله والمدرس بحضرته فبلغ الإمام المهدي ما قد وقع التواطؤ عليه فأرسل لجماعة من أكابر آل الإمام وسجنهم وأرسل أيضًا لصاحب الترجمة وسجنه، وأمر من يطرد السيد يوسف المذكور حتى يخرجه من الديار اليمنية فسكنت

عند ذلك الفتنة وبقي صاحب الترجمة نحو شهرين ثم خرج من السجن وولي الخطابة غيره واستمر ناشراً للعلم تدريسًا وافتاءً وتصنيفًا وما زال في محن من أهل عصره.

وكانت العامة ترميه بالنصب مستدلين بذلك بكونه عاكفًا على الأمهات وسائر كتب الحديث عاملاً بما فيها ومن صنع هذا الصنع رمته العامة بذلك لاسيما إذا تظاهر بفعل شيء من سنن الصلاة كرفع اليدين وضمهما ونحو ذلك فإنهم ينفرون عنه ويعادونه ولا يقيمون له وزنًا مع أنهم في جميع هذه الديار منتسبون إلى الإمام زيد بن علي وهم من القائلين بمشروعية الضم وكذلك ما زال الأئمة من الزيدية يقرءون كتب الحديث الأمهات وغيرها منذ خرجت إلى اليمن ونقلوها في مصنفاتهم الأول فالأول لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل.

وليس الذنب في معاداة من كان كذلك للعامة الذين لا تعلق لهم بشيء من المعارف العلمية فإنهم أتباع كل ناعق إذا قال لهم من له هيئة أهل العلم أن هذا الأمر حق قالوا: حق وإن قال: باطل، قالوا: باطل إنما الذنب لجماعة قرءوا شيئًا من كتب الفقه ولم يمعنوا فيها ولا عرفوا غيرها فظنوا لقصورهم أن المخالفة لشيء منها مخالفة للشريعة بل القطعي من قطعياتها مع أنهم يقرءون في تلك الكتب مخالفة أكابر الأئمة وأصاغرهم لما هو مختار لمصنفها ولكن لا يعقلون حقيقة ولا يهتدون إلى طريقة بل إذا بلغ بعض معاصريهم إلى رتبة الاجتهاد وخالف شيئًا باجتهاده جعلوه خارجًا عن الدين.

والغالب عليهم أن ذلك ليس لمقاصد دينية بل لمنافع دنيوية تظهر لمن تأملها وهي أن يشيع في الناس أن من أنكر على أكابر العلماء ما خالف المذهب من اجتهاداتهم كان من خلص الشيعة الذابين عن مذهب الآل وتكون تلك الشهرة مفيدة في الغالب لشيء من منافع الدنيا وفوائدها فلا يزالون قائمين وثائرين في تخطئه أكابر العلماء ورميهم بالنصب ومخالفة أهل البيت فتسمع ذلك العامة

فتظنه حقًّا وتعظم ذلك المنكر، لأنه قد نفق على عقولها صدق قوله وظنوه من المحامين عن مذهب الأئمة من أهل البيت بل الخارج عن إجماعهم لأنهم جميعًا حرموا التقليد على من بلغ رتبة الاجتهاد وأوجبوا عليه أن يجتهد رأي نفسه ولم يخصوا بذلك مسألة دون مسألة ، ولكن المتعصب أعمى والمقصر لا يهتدي إلى صواب ولا يخرج عن معتقده ، إلا إذا كان من ذوي الألباب مع أن مسألة تحريم التقليد على المجتهد هي محررة في الكتاتيب ، التي هي مدارس صغار الطلبة فضلاً عن كبارهم بل هي فيها أو في بحث من مباحثها يتلقنها الصبيان وهم في الكُتَّاب .

(ومن) جملة ما اتفق لصاحب الترجمة من الامتحانات أنه لما شاع في العامة ما شاع عنه بلغ ذلك أهل جبل برط من ذوي محمد وذوي حسين وهم إذ ذاك جمرة اليمن الذين لا يقوم لهم قائم فاجتمع أكابرهم ومن أعظم رؤسائهم حسن ابن محمد العنسي البرطي وخرجوا على الإمام المهدي في جيوش عظيمة ووصلت منهم الكتب أنهم خارجون لنصرة المذهب وأن صاحب الترجمة قد كاد يهدمه وأن الإمام مساعد له على ذلك فترسل لهم العلماء الذين لهم خبرة في الحق وأهله ورتبة في العلم فما أفاد ذلك.

وآخر الأمر جعل لهم الإمام زيادة في مقرراتهم قيل إنها نحو عشرين ألف قرش في كل عام فعادوا إلى ديارهم وتركوا الخروج؛ لأنه لا مطمع لهم في غير الدنيا ولا يعرفون من الدين إلا رسومًا بل يخالفون ما هو من القطعيات كقطع ميراث النساء والتحاكم إلى الطاغوت واستحلال الدماء والأموال وليسوا من الدين في ورد ولا صدر.

ومن محن الدنيا أن هؤلاء الأشرار يدخلون « صنعاء » لمقررات لهم في كل سنة ، ويجتمع منهم ألوف مؤلفة فإذا رأوا من يعمل باجتهاده في الصلاة كأن يرفع يديه أو يضمهما إلى صدره أو يتورك ، أنكروا ذلك عليه وقد تحدث بسبب ذلك فتنة.

ويتجمعون ويذهبون إلى المساجد التي تقرأ فيها كتب الحديث على عالم من العلماء فيثيرون الفتن وكل ذلك بسبب شياطين الفقهاء الذين قدمنا ذكرهم وأما هؤلاء الأعراب الجفاة فأكثرهم لا يصلي ولا يصوم ولا يقوم بفرض من فروض الإسلام سوى الشهادتين على ما في لفظه بهما من عوج.

واتفق في الشهر الذي حددت في الترجمة أنه دخل جماعة منهم وفيهم عجب وتيه واستخفاف بأهل «صنعاء» على عادتهم وقد كانوا نبهوا في الطرقات فوصلوا إلى باب مولانا الإمام حفظه الله فرأى رجل بقرة لهم معهم فرام أخذها فسلّ من هي معه من أهل بكيل السلاح على ذلك الذي رام أخذ بقرته فثار عليهم أهل «صنعاء» الذين كانوا مجتمعين في باب الخليفة وهم جماعة قليلون من العوام وهؤلاء نحو أربعمائة فوقع الرجم لهؤلاء من العامة ثم بعد ذلك أخذوا ما معهم من الجمال التي يملكونها وكذلك سائر دوابهم فضلاً عن الدواب التي نهبوها على المسلمين وأكثر بنادقهم وسائر سلاحهم، وقتلوا منهم نحو أربعة أنفار وجنوا على جماعة منهم وما وسعهم إلا الفرار إلى المساجد وإلى محلات قضاء الحاجة ولولا أن الخليفة بادر بزجر العامة عند ثوران الفتنة لما تركوا منهم أحداً، وصاروا الآن في ذلة عظيمة زادهم الله ذلة وقلل عددهم.

وقد كان أكثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك وقرءوا عليه كتب الحديث وفهّم جماعة من الأجناد بل كان الإمام المهدي يعجبه التظاهر بذلك وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير الماس المهدي وما زال ناشراً لذلك في الخاصة والعامة غير مبال بما يتوعده به المخالفون له ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار وقاه الله شرها.

[٢٥] الحسد الذي حصل للإمام الشوكاني:

هو: إمام المجتهدين في عصره وناشر السُّنَّة في زمانه، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني.

كان مبرزًا في علوم كثيرة لاسيما علوم السُّنَّة والتفسير والفقه فروعه وأصوله [1].

وأنقلك إلى الإمام الشوكاني ليذكر لك بعض حوادث الحساد وغيرهم له ولدعوته عليه رحمة الله تعالى، قال في «أدب الطلب ومنتهى الإرب» (ص٩٨-١٠٥):

«وإني أخبرك أيها الطالب عن نفسي وعن الحوادث الجارية بيني وبين أهل عصري ليزداد يقينك وتكون على بصيرة فيما أرشدتك إليه.

اعلم أني كنت عند شروعي في الطلب في الصفة التي ذكرتها لك سابقًا ثم كنت بعد التمكن من البحث عن الدليل والنظر في مجاميعه أذكر في مجالس شيوخي ومواقف تدريسهم وعند الاجتماع بأهل العلم ما قد عرفته من ذلك لاسيما عند الكلام في الشيء من الرأي مخالف الدليل أو عند ورود قول عالم من أهل العلم قد تمسك بدليل ضعيف وترك الدليل القوي.

أو آخذ بدليل عام وبعمل خاص أو بمطلق وطرح المقيد أو بمجمل ولم يعرف المبين أو بمنسوخ ولم يتنبه للناسخ أو بأول ولم يعرف بآخر أو بمحض رأي ولم يبلغه في تلك المسألة دليلاً يتحين عليه العمل به فكنت إذا سمعت بشيء من هذا لا سيما في مواقف المتعصبين ومجامع الجامدين تكلمت بما بلغت إليه مقدرتي وأقل الأحوال أن أقول: استدل هذا بكذا وفلان المخالف له بكذا ودليل فلان أرجح لكذا فما زال أسرى التقليد يستنكرون ذلك ويستعظمونه لعدم الفهم به وقبول طبائعهم له حتى ولّد في قلوبهم من العداوة والبغضاء ما الله به عليم.

ثم كنت إذا فرغت من أخذ فن من الفنون أو مصنف من المصنفات على شيوخي أقبل جماعة من الطلبة إليّ وعوّلوا عليّ في تدريسهم في ذلك [2]، فكان يأخذ أترابي شيئًا من الحسد الذي لا يخلو عنه إلا القليل ثم تكاثر الطلبة عليّ في علوم الاجتهاد وغيرها.

---

(١) «هجر العلم ومعاقله» (ص٢٢٥١).

(٢) راجع «البدر الطالع» (٢/ ٢١٩).

وأخذوا عني أخذاً خاليًا عن التعصب سالمًا من الاعتساف فكنت أقرر لهم دليل كل مسألة وأوضح لهم الراجح فيها وأصرح لهم بوجوب المصير إلى ذلك وكانوا قد تمرنوا وعرفوا علوم الاجتهاد وذهب عنهم ما تكدرت به فطرهم من المغيرات فزاد ذلك المخالفين عداوة وشناعة وحسداً وبغضًا وأطلقوا ألسنتهم بذلك وكان مع ذلك ترد إليّ أبحاث من جماعة من أهل العلم الساكنين « بصنعاء » وغيرهم من أهل البلاد البعيدة والمدائن النائية فأحرر الجوابات عليهم في رسائل مستقلة ويرغب تلامذتي لتحصيل ذلك وتنتشر في الناس فإذا وقف عليه المتعصبون ورأوه يخالف ما يعتقدون استشاطوا غضباً وعرضوا ذلك على من يرجون منه الموافقة والمساعدة، فمن ثالب بلسانه ومعترض بقلمه وأنا مصمّم على ما أنا فيه لا أنثني عنه ولا أميل عن الطريقة التي أنا فيها وكثيراً ما يرفعون ذلك إلى من لا عنده علم من رؤساء الدولة الذين لهم في الناس شهرة وصولة فكان في كل حين يبلغني من ذلك العجب ويناصحني من يظهر لي المودة ومن لا تخفى عليه حقيقة ما أقوله وحقيقته مع اعترافهم بأن ما أسلكه هو ما أخذه الله على الذين حملوا الحجة لكنهم يتعللون بأن الواجب يسقط بدون ذلك ويذكرون أحوال أهل الزمان وما هم عليه وما يخشونه من العواقب فلا أرفع لذلك رأسًا ولا أعوّل عليه وكنت أتصوّر في نفسي أن هؤلاء الذين يتعصبون عليّ ويشغلون أنفسهم بذكري والحط عليّ هم أحد رجلين: إما جاهل لا يدري أنه جاهل ولا يهتدي بالهداية ولا يعرف الصواب وهذا لا يعبأ الله به.

أو رجل متميز له حظ من علم وحصّة من فهم لكنه قد أعمى بصيرته الحسدُ ، وذهب بإنصافه حب الجاه وهذا لا ينجع فيه الدواء ، ولا تنفع عنده المحاسنة ، ولا يؤثر فيه شيء فما زلت على ذلك وأنا أجد المنفعة بما يصنعونه أكثر من المضرة والمصلحة العائدة على ما أنا فيه بما هم فيه أكثر من المفسدة.

ولقد اشتد بلاؤهم وتفاقمت محنتهم في بعض الواقعات فقاموا قومة

شيطانية وصالوا صولة جاهلية وذلك أنه ورد إليّ سؤال في شأن من يقع من كثير من المقصرين من الذم لجماعة من الصحابة صانهم الله وغضبت على من ينتهك أعراضهم المصونة فأجبت برسالة [١] ذكرت فيها ما كان عليه أئمة الزيدية من أهل البيت وغيرهم ونقلت إجماعهم من طرق وذكرت كلمات قالها جماعة من أكابر الأئمة وظننت أن نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية ويردهم عن طرق الغواية فقاموا بأجمعهم وحرروا جوابات زيادة على عشرين رسالة [٢] مشتملة على الشتم والمعارضة بما لا يتفق إلا على بهيمة واشتغلوا بتحرير ذلك ، وأشاعوه عند العامة ولم يجدوا عند الخاصة إلا الموافقة تقية لشرهم وفراراً من مكرهم وزاد الشر وتفاقم حتى أبلغوا ذلك إلى أرباب الدولة والمخالطين للملوك من الوزراء وغيرهم وأبلغوه إلى مقام خليفة العصر [٣] حفظه الله وعظم القضية جماعة ممن يتصل به فمنهم من يشير عليه بحبسي ومنهم من ينتصح له بإخراجي من وطني وهو ساكت لا يلتفت إلى شيء من ذلك ، وقاية من الله وحماية لأهل العلم ومدافعة عن القائمين بالحجة في عباده ولم تكن لي إذ ذاك مداخلة لأحد من أرباب الدولة . ولا اتصال بهم [٤] .

واشتد لهج الناس بهذه القضية وجعلوها حديثهم في مجامعهم وكان من بيني وبينهم مودة يشيرون عليّ بالفرار أو الاستتار وأجمع رأيهم على أني إذا لم أساعدهم على أحد الأمرين فلا أعود إلى مجالس التدريس التي كنت أدرس في جامع «صنعاء» فنظرت إلى ما عند تلامذتي فوجدت أنفسهم قوية ورغبتهم في التدريس شديدة إلا القليل منهم فقد كادوا يستترون من الخوف ويفرون من

---

(١) هي رسالته المسماة «إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي» (مخطوطة) ذكر المؤلف في «البدر الطالع» (١ / ٢٣٤) أنه ألفها سنة ١٢٠٨ هـ.

(٢) جمعت في كتاب بعنوان «إظهار الخبى».

(٣) هو المنصور علي بن العباس حكم اليمن من سنة (١١٨٩-١٢٢٤هـ) انظر ترجمته في «البدر الطالع» (١ / ٤٥٩-٤٦٧).

(٤) كان المؤلف قبل توليه القضاء عام ١٢٠٩ هـ ، متفرغًا للعلم تفرُّغًا تامًّا مبتعد عن رجال السياسة انظر «البدر الطالع» (٢ / ٢٢٤).

الفزع فلم أجد لي رخصة في البعد عن مجالس التدريس وعدت وكان أول درس عاودته عند وصولي إلى الجامع في أصول الفقه بين العشاءين.

فانقلب من بالجامع وتركوا ما هم فيه من الدرس والتدريس ووقفوا ينظرون إليّ متعجبين من الإقدام على ذلك لما قد تقدر عندهم من عظم الأمر وكثرة التهويل والوعيد والترهيب، حتى ظنوا أنه لا يمكن البقاء في «صنعاء» فضلاً عن المعاودة للتدريس، ثم وصل في حال ذلك الدرس جماعة لم تجر لهم عادة بالوصول إلى الجامع ،وهم متلفعون بثيابهم لا يعرفون وكانوا ينظرون إليّ ويقفون قليلاً ثم يذهبون ويأتي آخرون، حتى لم يبق شك مع أحد أنها إن لم تحصل فتنة في الحال وقعت مع خروجي من الجامع فخرجت من الجامع وهم واقفون على مواضع من طريقي فما سمعت من أحد منهم كلمة فضلاً عن غير ذلك.

وعاودت الدروس كلها وتكاثر الطلبة المتميزون زيادة على ما كانوا عليه في كل فن وقد كانوا ظنوا أنه لا يستطيع أحد أن يقف بين يدي مخافة على أنفسهم من الدولة والعامة فكان الأمر على خلاف ما أظنه وكنت أتعجب من ذلك وأقول في نفسي هذا من صنع الله الحسن ولطفه الخفي؛ لأن من كان الحامل له على ما وقع الحسد والمنافسة لم ينجح كيده بل كان الأمر على خلاف ما يريد.

ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس بالجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السماع جماعة ويحضره من عامة الناس جمع جمّ لقصد الاستفادة بالحضور فسمع بذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسيًّا في مسجد من مساجد «صنعاء» ثم كان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجبًا من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد

لهم به والرجل الذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله .

ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليّ لقصد الفتنة فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي : إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك واستعنت بالله وتوكلت عليه وقعدت في المكان المعتاد وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لمّا شهد وصول أولئك الأجناد ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك الأشخاص يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم بعضًا ثم ذهبوا ولم يقع بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته.

ثم إن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الأمامي هو ومن يوافقه على هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوْء وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد العلم وحاصل ما في تلك الرسائل إني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام وأنه إذا لم يتدارك ذاك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعًا عقد المودة وسابق الإلفة فرأيته يقول فيها مخاطبًا لإمام العصر أن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منزلي ويهجمون مسكني ويأخذوا ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب ولولا أن الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت ،وفيها من هذا الزور والكلمات الفظيعة شيء كثير وهي في نحو ثلاثة كراريس.

وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشرده إمام العصر إلى جزيرة من

جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة ولا يظلم ربك أحداً وكان حدوث هذه الحادثة عليه ونزول هذه الفاقرة به بمرأى ومسمع من ذلك الوزير الرافضي الذي ألف له تلك الرسالة استجلاباً لما عنده وطلباً للقرب إليه وتودداً له ومن جملة ما وقفت عليه من الرسائل المؤلفة بعناية هذا الوزير رسالة لبعض مشائخي الذين أخذت عنهم بعض العلوم الآلية وفيها من الزور ومحض الكذب ما لا يظن بمن هو دونه وما حمله على ذلك إلا الطمع في الوزير فعاقبه الله بقطع ما كان يجري عليه من الخليفة وأصيب بفقر مدقع وفاقة شديدة حتى صار عبرة من العبر وكان يفد إليّ يشكو حاله وما هو فيه من الجهد والبلاء فأبلغ جهدي في منفعته وما يسد فاقته.

وهكذا جماعة من المترسلين عليّ المبالغين في إنزال الضرر بي، أرجعهم الله إليّ راغمين وأحوجهم لمعونتي مضطرين ولم أعاقب أحداً منهم على ما أسلفه ولا كافيته بما قدمه.

اللهم إني أحمدك على جميل صنعك وجزيل فضلك وجميل طولك حمداً يتجدد بتجدد الأوقات ويتعدد بعدد المعدودات وإني وإن لم أكن أهلاً لما أوليته فأنت له أهل وبه حقيق لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومما أسوقه إليك أيها الطالب وأعجبك منه أنه كان لي صديق بمدينة من مدائن «اليمن» جمعني وإياه الطلب والألفة والوداد وكان عالي القدر رفيع المنزلة في العلم كبير السِّن بعيد الصيت مشهور الذكر ولعله كان يفيد الطلبة في الفقه قبل مولدي وقرأ عليه بعض شيوخي ورحل معه إلى «صنعاء» وطلب علوم الاجتهاد في أيام طلبي لها، وكان بيني وبينه من المودة أمر عظيم وله معه مذاكرات ومباحثات وترسلات في فوائد كثيرة هي في مجموعة رسائلي فلما حدث ما حدث من قيام ما قام عليّ من الخاصة والعامة وكان إذ ذاك فارق «صنعاء» وعاد إلى مدينته وعكف عليه الطلبة واستفادوا به في الفنون فقاموا عليه وقالوا: إنه بلغ إلينا ما حدث من أليفك الذي تكثر الثناء عليه والمذاكرة له

من مخالفة المذهب والتظاهر بالاجتهاد فإن كنت موافقًا له قمنا عليك كما قام عليه أهل « صنعاء » وإن كنت تخالفه فيما ظهر منه فترسل عليه فوصلت منه رسالة في عدة كراريس وما حمله على ذلك إلا المداراة لهم والتقية منهم وظاهرها المخالفة وباطنها الموافقة مع حسن عبارة وجودة مسلك ولم أستنكر ذلك منه ولا عاتبته عليه فإن الصدع بالحق والتظهر بما لا يوافق الناس من الحق ولا يستطيعه إلا الأفراد وقليل ما هم.

ووصلت رسائل من جماعة آخرين في مدائن بعيدة من « صنعاء » فيها ما هو موافق لي مقوٍّ لما ذهبت إليه وفيها ما هو مخالف لذلك ولا يزالون مختلفين وليس بعجيب خذلان من خذلني ولم يقم بنصري ولم يصدع بالحق في أمري من علماء « صنعاء »العارفين بالعلوم المتمسكين منها بجانب يفرقون بين الحق والباطل فثورة العامة يتقيها كثير من الناس لا سيما إذا حطبوا في حبل من ينتمي إلى دولة ويتصل بملك ويتأيد بصولة ويأبى الله إلا أن يتم نوره وينصر دينه ويؤيد شرعه.

وبالجملة فالشرح لما حدث لي من الحوادث في هذا الشأن يطول، ولو ذهبت أسردها وأذكر ما تعقبتها من ألطاف الله التي هي من أعظم العبر ومنحه التي لا تبلغها الأفهام ولا تحيط بها الأوهام لم يف بذلك إلا مصنف مستقل.

وليس المقصود هنا إلا ما نحن بصدده من تنشيط طالب العلم وترغيبه في التمسك بالإنصاف والتحلي بحلية الحق والتلبس بلباس الصدق وتعريفه بأن قيامه في هذا المقام كما أنه سبب الفوز بالآخرة ، وهو أيضًا سبب الوصول إلى ما يطلبه أهل الدنيا من الدنيا وأن له الأثر على من خالفه والظهور على من ناوأه في حياته وبعد موته وأنه بهذه الخصلة الشريفة التي هي الإنصاف ينشر الله علومه ويظهر في الناس أمره ويرفعه إلى مقام لا يصل إلى أدنى مراتبه من يتعصب في الدين ويطلب رضا الناس بإسخاط رب العالمين والحمد لله ».

الفصل السابع
أشعار في الحسد

[١] الحاسد لا يمكن المصالحة معه:

قال الأصمعي :

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك بالحسد

[٢] الحسود لا يرضى عن حاسده:

قال البيهقي : أنشدني أبو القاسم بن حبيب لغيره :

أعطيت لكل امرئ من نفسي الرضا ... إلا الحسود فإنه أعياني

يطوي على حنق حشاه إذا رأى ... عندي جمال غنى وفضل بيان

رأى فما ترضيه إلا ذلتي ... وهلاك أعضائي وقطع لساني

وعزاها الماوردي إلى محمود الوراق أنه قال :

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا ... إلا الحسود فإنه أعياني

ما إن لي ذنبًا إليه علمته ... إلا تظاهر نعمة الرحمن

رأى فما يرضيه إلا ذلتي ... وذهاب أموالي وقطع لساني

[٣] عين الحاسد تبدي المساوئ:

قال البيهقي : أنشدني أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرد :

عين الحسود عليك الدهر حارسة ... تبدي المساوئ والإحسان تخفيه

يلقاك بالشر تبديه مكاشرة ... والقلب منكتم فيه الذي فيه

إن الحسود بلا جرم عداوته ... وليس يقبل عذرًا في تجنيه[١]

---

(١) وقال ابن حبان في(ص١٣٣) : أنشدني ابن بلال الأنصاري :

عين الحسود عليك الدهر حارسة ... فاحذر حراستها واحذر تكشفها

تبدي مساويك والإحسان يخفيها ... وكن على قدر ما توليك توليها

[٤] الحاسد مغتاب:

أنشد علي بن محمد العلوي:

وذي حسد يغتابني حيث لا يرى ... مكاني ويثني صالحًا حيث يسمع

تورعت أن أغتابه من ورائه ... وها هو ذا يغتابني متورع(١)

[٥] تغرير الحسود بنعم الله:

قال ابن الأزرق النحوي:

نكمى الحسود إلى ملجأ به ... جهلاً فقلت له مقالة حازم

الله يعلم حيث يجعل فضله ... مني ومنك ومن جميع العالم

[٦] الحاسد مبغوض:

أنشد عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

ليس للحاسد إلا ما حسد ... فله البغضاء من كل أحد

وأرى الوحدة خير للفتى ... من جليس السوء فانهض إن قعد(٢)

[٧] متى يكون الحسد؟

قال عبيد الله بن محمد بن حفص العميسي: أنشدهم في ابنه:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالناس أضداد له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لزوجها ... حسداً وبغيًا إنها لدميم

وثري اللبيب مشتمًا لم يحترم ... عرض الرجال وعرضه مشتوم(٣)

[٨] الوصية بالصبر على حسد الحاسد:

اصبر على حسد الحسود ... ولو رمى بك في اللُجج

فلعل طرفك لا يعود ... إليك إلا بالفرج(٤)

---

(١) كل هذه الأشعار السابقة من «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/ ٢٤٧).

(٢) قال ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٣٦): أنشدني عبد العزيز الأبرش فذكرها.

(٣) قال ابن حبان في «الروضة» (ص١٣٢): أنشدني محمد بن علي البسامي فذكرها بنحوها.

(٤) كلها من المصدر السابق (٥/ ٢٧٥).

[٩] وقال أحمد بن محمد بن عبد الوهاب العبدي: كانوا كلهم يحسدونني فقلت ليلة:

ولكني بفضل الله أدرك قسمة وأسرج أعدائي قديمًا وألجم

[١٠] الحاسد يسيء إلى الله لا إلى المحسود:

قال منصور الفقيه:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله إذ أنت لم ترض لي ما وهب
منه الزيادات لي وأن لا تنال الذي يطلب

[١١] الحاسد يأكله حسده:

قال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله [١]

[١٢] الحسد ينشر به فضائل المحسود:

قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود [٢]

[١٣] لا تلم أحداً حسدك:

قال الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسدُوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظًا بما يجد [٣]

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (٢٦١).
(٢) المصدر السابق(ص٢٦٢) وقال ابن حبان في «الروضة» (ص١٣٦) : أنشدني محمد بن نصر المديني لحبيب ابن أوس.
(٣) المصدر السابق .

[١٤] الحاسد مظلوم ظالم:

قال الشاعر :

إن الحسود الظلوم في كرب يخاله من يراه مظلومًا

ذا نفس دائم على نفس يظهر منها ما يكون مكتومًا (١)

[١٥] حرارة صدر الحاسد:

قال الشاعر :

إني لأرحم حاسدي من حرما ضمت صدورهم من الأوغال

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار(٢)

[١٦] الحذر من الحاسد:

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفع يطمع في صلاح الفاسد

واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد

إن الحسود وإن أراك توددًا منه أضر من العدو الحاقد

ولربما رضي العدو إذا رأى منك الجميع فصار غير معاند

ورضى الحسود زوال نعمتك التي أوتيتها من طارف أو تالد

فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمي حشاه بالعذاب الخالد

[١٧] مداراة الحاسد:

قال الشاعر :

وداريت كل الناس إلا الحاسد مداراته عزت وشق نوالها

وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

---

(١) المصدر السابق .

(٢) « تفسير ابن جزي » (ص٨٦٥) .

[١٨] ظلم الحاسد لنفسه:

قال حكيم الشعراء :

وأظلم خلق الله من بات حاسداً ... لمن بات في نعمائه يتقلب [١]

وقال بعضهم :

قل للحسود إذا تنفس طعنة ... يا ظالمًا وكأنه مظلوم [٢]

[١٩] ألم الحسود ورفعة المحسود:

وقال ابن حبان في «روضة العقلاء (ص١٣٣) : أنشدني محمد بن إسحاق ابن حبيب الواسطي :

اعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلي حسن في مثله الحسد

إن يحسدوني فإني لا ألومهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظًا بما يجد

أنا الذي وجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صدراً منهم ولا أرد

[٢٠] تجنب الحرص والحسد:

وقال (ص١٣٠) : وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرص ودع عنك الحسد ... ففيهما الذل وإتعاب الجسد

[٢١] حسد النعم:

وقال (ص١٣٥) : أنشدني الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العمي :

حسدوا النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلم

وإذا ما الله أبدى نعمة ... لم يضرها قول حساد النعم

---

(١) « تفسير الجزري » (ص٨٦٥) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٢/ ٢٥٩) .

[٢٢] لا تخلو الفضائل من الحساد:

قال ابن حبان في «الروضة» (ص١٣٧) : أنشدني محمد بن عبد الله بن نجي البغدادي :

أنت امرؤ قصرت عنه مروءته ... إلا من الغش للإخوان والحسد

أأن تراني خيراً منك تحسدني! ... إن الفضيلة لا تخلو من الحسد

[٢٣] الحسد من سقم المودة:

قال محمود الوراق :

لا تحسدن أخاك وأرع ... له على الأيام عهده

حسد الصديق صديقه ... وأخاه من سقم المودة

[٢٤] ذنب المحسود لدى الحاسد:

قال ثمامة بن أشرس في أحمد بن خالد : [1]

أفكر ما ذنبي لديك فلا أرى ... على سبيل غير أنك حاسد

وإنا لموسومان كل بسيمة ... أقر مقرٌّ أو أبى ذاك جاحد

[٢٥] الرد على الحاسد:

وقال الحسين الخليع :

ما للحسود وأشياعه ... ومن كذب الحق إلا الحجر

قال ابن المعتز :

ما عابني إلا الحسو ... د وتلك من خير المعايب

والخير والحساد مقـ ... ـرونان إن ذهبوا ذهب

وإذا ملكت المجد لم ... أملك مذمات الأقارب

وإذا فقدت الحاسد ... ين فقدت في الدنيا المطايب

---

(١) انظر «بهجة المجالس وأُنس المُجالس» لابن عبد البر (ص٤١٠-٤١٧)، فهذا وما بعده منقول من هناك وبقي هناك مقاطع شعرية أخرى فانظرها إن شئت.

[٢٦] ذو الفضل يُحسد وذو النقص يحسد:

قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو النقصان

فهرس

فهرس

رقم الصفحة

من أحدث اصدارات دار الإيمان

فوائد
مدارج السالكين
بين منازل
إياك نعبد وإياك نستعين

للإمام العلامة ابن قيم الجوزية

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية